رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (2258) السنة التاسعة
الاحد (25) ايلول 2011

أوراق

ملحق يعنى بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة

حروب النفط

60 عاما على المخابرات الإسرائيلية

وهـــم الـتـنـمـيـة

قليلة هي الكتب أو الدراسات النقدية التي تتعامل مع الوضع الاقتصادي وتجلياته الاجتماعية في مناطق سلطة الحكم الذاتي، فمعظم ما ينشر يصدر عن السلطة نفسها مما يسمح لها بوضع ما تريده من أرقام واحصاءات، ومنع ما لا تريد نشره. وهذا الكتاب يقول ما لا تقوله المؤسسات الرسمية، وينقل صورة مفجعة حقا عن الأوضاع العامة هناك، مستخدما مفردات واضحة تتكلم بالصراحة المطلوبة عند التصدي للقضايا الوطنية. وفي الوقت نفسه فإن البحاثة المشاركين فيه اعتمدوا على الأبحاث الأكاديمية المنشورة محليا وإقليميا ودوليا، لكن عبر نظرة نقدية. يحمل البحث الذي شارك في كتابته خمسة متخصصين، عنوانا دالا حيث يقود القارئ إلى توقع ما سيعثر عليه في صفحاته.

عرض: زياد منى

المحتوى

كل جملة من صفحات الكتاب تنقل معلومة، مما يجعله برأينا مرجعا رئيسيا ليس فقط للنظر بنقدية إلى سياسات سلطة رام الله، بل يجعله أيضا دليلا للحاضر وكيفية رسم سياسات وطنية للمستقبل.

يضم الكتاب أربعة أقسام تتصدرها مقدمة في نقد التنمية كتبتها أيلين كتاب وقالت فيها اعتمادا على مؤشرات التنمية الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، إن المجتمع الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ استحال مجتمعا فقيرا، ليس فقط بسبب سياسات الاحتلال وإنما أيضا بسبب سياسات التنمية الوطنية "التي ركزت اقتصاديا على قطاعات خدماتية وغير إنتاجية لم تستطع تغيير بنية سوق العمل وتوسيعه أو تغيير البنية القائمة على أساس النوع الاجتماعي".

المال والسياسة

القسم الأول "المال والسياسة وتشكيل خطاب التنمية" كتبه إياد الرياحي في ثلاثة فصول تتصدرها مقدمة وتنتهي بخاتمة، وهو يقول فيه إن أخطر ما يواجه مشروع التنمية الوطني استمرار تعامل السلطة الفلسطينية معه عنوانا لاستجلاب التمويل الخارجي لا غير، وتعامل المانحين مع التنمية مدخلا لتحقيق "السلام" لا العكس. هذا قاد إلى إخفاق المستوى الرسمي الفلسطيني في بناء تنمية، وأخفق في الانتقال إلى سلطة بصلاحية سيادية واستقلال حقيقي.

انفتاح التحالف الاقتصادي بين القطاع الخاص الفلسطيني ونظيره الإسرائيلي عزز نفوذ الطرف الأخير في السوق الفلسطيني، مما حيد التنافس حتى الطبيعي بين الرأسماليين للفوز بنصيب أكبر من السوق ومنع تطور بنية إنتاجية فلسطينية منافسة.

الباحث يلقي باللوم هنا على سياسات السلطة الفلسطينية و"ارتباطات المستوى الرسمي الفلسطيني".

التنمية والخصخصة

كتب فراس جابر القسم الثاني "خصخصة فلسطين" في ثلاثة فصول ومدخل يقول فيه إن المشروع الصهيوني مشروع سياسي اقتصادي عمل على تثبيت وجوده المادي في فلسطين عبر الاحتلال والاستيطان والاقتلاع.. لذا فإن القضية الفلسطينية ليست سياسية فقط، بل أيضا إنسانية واجتماعية وفنية وثقافية وترائية.

وانتقد الكاتب بشدة ممارسات جزء كبير من القطاع الخاص الفلسطيني على صعيد العمل الوطني الذي ارتبط مع الاحتلال بعلاقات ومصالح بنيوية، مما يشرح تبعية قطاعات برجوازية للاحتلال وتماهيها معه.

وقد أسهب الكاتب في التعامل مع مختلف تجليات موضوع البحث من خلال التعامل نقديا مع ترجماته المادية مثل "مؤسسة التعاون" و"اتفاقية باريس" الاقتصادية والاقتصاد الفلسطيني "المزعوم" و"سوق الأوراق المالية" ومؤتمرات الاستثمار في بيت لحم التي رأى فيها تطويقا للاقتصاد الفلسطيني وليس استثماره، وغير ذلك.

وخلص إلى أن مشاركة النخب الرأسمالية الفلسطينية المعولمة في "اتفاقية باريس" تدل على توجهها والدور السلبي الذي تؤديه، والمنطلق من السعي لجني الأرباح واتباع السياسات التي تخدمها فقط.

منظمات "المجتمع المدني"

كتبت أميرة سلمى القسم الثالث "المنظمات غير الحكومية.. أداة للتنمية؟ مراجعة مفاهيمية" تتناول فيه الموضوع ضمن سياق "دور المجتمع المدني في التنمية"، حيث رأت في تطور هذه النزعة تراجعا للنضال من أجل التحرر الوطني واحتواء القوى التي تحمل إمكانات أن تكون تقدمية قادرة على مقاومة الاحتلال.

وقد مارست الكاتبة قراءتها من خلال دراسة أدبيات مؤسسات غير حكومية فلسطينية تعمل في قطاعات الصحة والدفاع والحقوق والسياسات والمدفوعة والخدمات والتنموية وحقوق المرأة، لكن من دون نفي أن الاستنتاجات المأخوذة هنا تسري على تلك القطاعات فقط.

وتقول الكاتبة إنها تنظر إلى دور المنظمات الحكومية من منظور من يعمل على تغطية وجه الإمبريالية القبيح، موظفة القوى اليسارية نفسها التي كانت تعارض التوجهات الاستعمارية في دول الشمال مع أنها ترى نفسها بديلا لها.

وترى أن هذه المنظمات غير الحكومية -لكونها حركات اجتماعية عالمية- لا تعمل خارج النظام العالمي، بل هي في أحسن الأحوال حركات إصلاحية تقوم على أسس ومبادئ لليبرالية وجدت أساسًا لخدمة النظام الرأسمالي العالمي والإبقاء عليه.

بكلمات أخرى فإن هذه المنظمات غير الحكومية أداة لترويج الاستعمار الجديد تحت لافتات مختلفة.

ومن خلال دراسة وثائق المؤتمرات الدولية وأدبيات تلك المنظمات، تصل الباحثة إلى نتيجة ملخصها أن المنظمات غير الحكومية تكون مشروع مقاومة وتنمية بالدرجة التي تكون بها هاتان سلعة مطلوبا الترويج لها في السوق الذي تعمل فيه.

وما دامت تلك السوق هي "الليبرالية الجديدة" فإن المنظمات الفلسطينية غير الحكومية هي الوكيل الموزع في فلسطين ووكيل لمولييها من الاحتكارات العالمية. وهذا يقودها إلى الحسم بأن تلك المنظمات لا يمكن أن تكون أداة تنمية.

"مجتمع المانحين"

كتب حازم النملة القسم الرابع "مجتمع المانحين وإعادة صياغة المحلي.. مراجعة نقدية في زمن (التنمية) الفلسطيني" منطلقا من قول ميشيل فوكو "المهمة السياسية الحقيقية هي نقد عمل المؤسسات التي تبدو في الوقت نفسه محايدة ومستقلة، بطريقة تزيل النقاب عن العنف السياسي الذي مورس يوما عبرها".

ومن خلال دراسة ممارسات "مجتمع المانحين" وتقديم أمثلة عديدة تدعم منظور دراسته ونتائجها، كما فعل زملاؤه في الكتاب، وصل الباحث إلى استنتاجات منها أن تعامله مع الأنا الجمعية الفلسطينية أعاد تشكيل الواقع، أي المكان والزمان وإعادة موضعة الفرد الفلسطيني ضمنه، وإخراجه من حالة الصراع التحرري إلى مرحلة ما بعد الصراع وبناء الدولة.

هذا يعني إعادة موضعة الفرد الفلسطيني ضمن الواقع الجديد ليصبح في حاجة إلى تغيير مفاهيمه حول نفسه، أفرادا وجماعات. ويوجه المؤلف نقدا لاذعا إلى النخب المثقفة الفلسطينية حيث يقبل استنتاجات من سبقه من البحاثة فيقول على لسان أحدهم "المثقفون الفلسطينيون الجدد كمبرادورات ثقافية تعمل في مجال الاستيراد والتصدير". يصدرون نتائج استطلاعات الرأي والمعلومات الاجتماعية والاعتذارات الرسمية والذكريات الشخصية، إضافة إلى صورهم وأصواتهم في صفحات الجرائد والمحطات التلفزيونية الغربية.

وفي الوقت نفسه يستوردون أفكار صندوق النقد الدولي ومشاريع البنك الدولي والمبادرات الدولية والدعم المادي الغربي لمؤسساته، ويقفون في وجه أي محاولات أو ممارسات نقدية تخرج من الوطن أو الشتات، وهم مرتبطون طبقيا بالمصالح والسياسات الإمبريالية.

النتيجة: أخبار سيئة من فلسطين

لقد جرى وضع خطاب الإصلاح والحكم الرشيد بمعزل عن أي سياق تنموي حقيقي للفلسطينيين الخاضعين لاحتلال عسكري منذ أكثر من ستين عاما، وبفعل القوة والمال استطاع المانحون أن يجعلوا منه الخطاب الرسمي للسلطة الفلسطينية، وإن ارتدت الأخيرة القول إن تنفيذ برنامج الإصلاح والحكم الرشيد يضع الفلسطينيين على الطريق الذي يقود إلى الدولة المستقلة.

المهم هنا تأكيد أن البحاثة قدموا أمثلة حية تؤكد وتدعم هذا العمل مهم أيضا لطليعة "الربيع العربي" الحقيقية أو المنتحلة الصفة، المحاصر بين شتاء قارس البرودة وصيف جاف شديد الحرارة، لأنه يقدم نظرة ثاقبة لدور "مؤسسات المجتمع المدني" التي تتلقى الدعم من الغرب الاستعماري. وبينما يكشف البحث الجماعي هذا عن أوهام التنمية في مناطق السلطة الفلسطينية، يمثل في الوقت ذاته دراسة لما سيتطور الأمر إليه في عالمنا العربي الذي يخوض الآن أشرس المعارك من أجل استقلال وطني حقيقي، إذا ما تم تجاهل الدور الأساسي للدول المانحة ومنظمات المجتمع المدني وما إلى ذلك. هذا الكتاب مهم ويحوي معلومات تخص كل من يعمل في الشأن الوطني ليس فقط الفلسطيني وإنما العربي أيضا، وقراءته بتأن ووعي تساعد في كشف مدى الكارثة التي ألحقتها سلطة أوسلو بالمجتمع الفلسطيني في مناطق الاحتلال، وكيفية تجنب الوقوع في هذه الهاوية مستقبلا.

المصدر: الجزيرة

الـتـحـول الـكـبـيـر

يحلل المؤلف في هذا الكتاب التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي جلبها التحول الكبير بعد الثورة الصناعية. ويرى أن القرن التاسع عشر أنتج ظاهرة لم يسمع بها في تاريخ الحضارة الغربية، وهي سلم المئة سنة (١٨١٥-١٩١٤)، وهذا السلم لم يكن ناتجا لانعدام أسباب النزاع، بل يعود إلى ما يسميه المؤلف إلى التمويل العالمي المستوى. ويقصد المؤلف بالتمويل العالمي المستوى المؤسسات المالية الكبيرة التي تقوم بإقراض المؤسسات الأخرى والدول، وتمارس نوعا من السيطرة عليها، بعبارة أخرى إن ربط التمويل العالمي المستوى بين النظام السياسي والنظام الاقتصادي في العالم هيأ الوسائل لإقامة نظام سلم عالمي.

عرض: حسين عبد العزيز

لقد كان تأثير التمويل العالمي المستوى على القوى العظمى في صالح السلام في أوروبا على الدوام، حيث كانت القروض وتجديدها متوقفين على الائتمان، والائتمان متوقف على حسن السيرة والسلوك، وكان هذا التأثير فعالا إلى درجة أصبحت الحكومات تعتمد على تعاونه بأكثر من اتجاه، ونتيجة لذلك لم يصادف أي وقت لم تتمثل فيه الرغبة في السلام في مجالس المجموعة الأوروبية. وإذا أضفنا لذلك -والكلام للمؤلف- الرغبة المتنامية في السلام داخل البلدان حيث ضربت عادة توظيف المال بجذورها، فإننا سوف نعرف سبب هذا السلم المسلح بعشرات من الدول المستنفرة عمليا والتي تحوم فوق أوروبا من ١٨٧١ إلى ١٩١٤ من دون أن تنفجر في نزاع هدام.

ويذهب المؤلف إلى أن القبضة الحديدية للتمويل على الحكومات المغلوبة تستطيع أن تنجنب الكارثة، ويستشهد بحالة تركيا، فهذه الأخيرة حين تخلفت عن دفع التزاماتها المالية عام ١٨٧٥ اندلعت الحرب فورا، وعندما وقعت معاهدة برلين استمر الحفاظ على السلم لست وثلاثين سنة.

وهكذا فإن تنظيم الحياة الاقتصادية هيأ الأرضية لسلم المئة عام (١٨١٥-١٩١٤)، ففي الفترة الأولى كانت الطبقات الوسطى قوى ثورية بشكل خاص تهدد السلم كما شهدت بذلك الانتفاضة النابليونية، فكان أن نظم الحلف المقدس سلمه الرجعي ضد العنصر الجديد الذي بعث الفوضى، وفي الفترة الثانية انتصر الاقتصاد الجديد فأصبحت الطبقات الوسطى نفسها مدافعة عن مصالح السلم في ظل الطابع الوطني العالمي للاقتصاد الجديد.

صعود وانهيار اقتصاد السوق

إن نقطة الانطلاق عند المؤلف هي أن الفكر الاقتصادي الحديث يستند إلى مفهوم الاقتصاد كنظام متداخل للأسواق التي تلائم آليا بين العرض والطلب من خلال آلية السعر.

ويرى أن الاقتصاديين ظلوا يعتمدون على هذا المفهوم للاقتصاد كنظام يحقق التوازن بين الأسواق، إلا أنه يؤكد أن هذا النظام مختلف تماما عما هي عليه المجتمعات الإنسانية عبر تاريخ البشرية.

ويرى كذلك أن إيجاد سوق ذي تنظيم ذاتي كامل يتطلب تحول البشر وبيئتهم الطبيعية إلى مجرد سلع، مما يؤدي إلى تهديم كامل للمجتمع والبيئة الطبيعية.

ويستند المؤلف في هذا الرأي إلى تمييزه بين السلع الحقيقية والسلع الزائفة.

وبحسب المؤلف تعرف السلعة بأنها الشيء الذي أنتج لكي يباع في السوق، ووفقا لهذا التعريف تعتبر الأرض والعمل والمال سلعا زائفة لأنها في الأصل لم تنتج لبيعها في السوق، ذلك أن العمل هو نشاط يقوم به الإنسان، والأرض هي الطبيعة مقسمة، وعرض المال والإقراض في المجتمعات الحديثة هو بالضرورة ما ترسمه سياسات الحكومات، وانطلاق الاقتصاد الحديث من اعتبار هذه السلع سلعا حقيقية له مخاطر كبيرة على المجتمع بحسب المؤلف.

يرفض المؤلف اعتبار هذه السلع الزائفة سلعا حقيقية وذلك لسببين، الأول أخلاقي يعتبر معاملة الطبيعة والبشر على أنهما أشياء يتقرر سعرهما من قبل السوق هو انتهاك للمبادئ التي سادت في المجتمعات لمدة قرون طويلة.

والسبب الثاني هو دور الدولة في الاقتصاد، تلك الدولة التي يجب أن تقوم بدور مستمر في ضبط عرض المال والقروض لتجنب مخاطر التضخم والانكماش، وأن تقوم أيضا بتقديم العون في فترات البطالة.

وتبين السلع الزائفة تعذر إخراج الاقتصاد من طوق المجتمع، ذلك أن دوائر السوق الحقيقية تتطلب من الدولة أن تؤدي دورا فعالا في إدارة الأسواق، وهذا الدور يتطلب اتخاذ قرارات سياسية، وحينما تتجه سياسات الحكومات إلى رفع طوق المجتمع بالاعتماد على السوق ذات التنظيم الذاتي، فإن الناس العاديين يضطرون إلى تحمل تكاليف أعلى.

ويذهب المؤلف إلى أن مجتمعات السوق تنشأ من حركتين متعارضتين، حركة دعه يعمل، والحركة النقيضة لها وهي المحافظة، والتي تحاول رفع طوق المجتمع عن السوق، وهي محاولة قامت بها كل فئات المجتمع، ذلك أن الانكماش الاقتصادي الذي يحصل بين الحين والآخر يؤدي إلى تعطيل النظام المصرفي، فإن أرباب التجارة والأعمال يصرون على تقوية نظام المصرف المركزي ليحمي نظام الإقراض الوطني من ضغوط السوق العالمية.

لقد أراد ليبراليو السوق إنشاء اقتصاد عالمي فيه أقصى ما يمكن من الفرص لتوسيع مجال الأسواق عالميا، وكان عليه إيجاد طريقة يستطيع بها الناس من مختلف البلدان، وهم يستعملون عملات مختلفة، أن يعقدوا صفقات فيما بينهم.

ولكي يحقق الاقتصاد العالمي التنظيم الذاتي كان لا بد لكل من بلد من الالتزام بثلاث قواعد:

. أن يحدد قيمة عملته بالنسبة إلى كمية ثابتة من الذهب، وأن يلتزم ببيع وشراء الذهب بذلك السعر المحدد.

. أن يؤسس كل بلد مخزونه المالي الداخلي على كمية الذهب التي يحتفظ بها في احتياطه، فتكون عملية التداول مدعومة بالذهب.

. أن يعطي كل بلد المقيمين فيه حرية القصوى للدخول في صفقات اقتصادية عالمية.

ويرى المؤلف أن معيار الذهب وضع آلية مدهشة للتنظيم الذاتي، فإذا ما وقع أحد البلدان في عجز مالي لأن مواطنيه أنفقوا في الخارج أكثر مما جنوه، فإن الذهب يخرج من احتياطه ليسدد الدفعات المستحقة للأجانب، فينخفض بصورة آلية عرض المال والقروض داخليا وترتفع معدلات الفائدة، وتنخفض الأسعار والأجور، ويقل الطلب على المستوردات، ويسوى عجز البلد الاقتصادي ذاتيا من غير تدخل من الحكومة.

لكن المؤلف يذهب أيضا إلى القول إن ثمة مخاطر كبيرة ناجمة عن العمل بمعيار الذهب، فعندما تم تبني معيار الذهب في سبعينيات القرن التاسع عشر كان له التأثير الكبير في تقوية أهمية الأمة لكيان متحد.

ويرى أن القواعد البسيطة لمعيار الذهب فرضت على الناس أكلافا اقتصادية كانت لا تحتمل، فعندما تنحرف هيكلية الأسعار لبلد ما عن مستويات الأسعار عالميا، فإن الوسيلة الوحيدة المشروعة لذلك البلد ليتحكم بزيف احتياطه من الذهب هي الانكماش، وهذا يعني السماح لاقتصاده بأن يتقلص حتى يقلل انخفاض الأجور من الاستهلاك بما يكفي لاستعادة التوازن في الخارج.

ويؤكد مؤلف الكتاب أن معيار الذهب الذي حلم به لبيراليو السوق كآلية تفتح مجال العالم للازدهار، انتهى على عكس ذلك حيث أرغمت صدمات معيار الذهب الأمم على تحقيق نفسها ضمن حدود منبعة.

وحتى عندما انهار هذا النظام المتناقض عند وقوع الحرب العالمية الأولى، ظل ينظر إلى معيار الذهب كأمر مفروغ منه وسعى المسؤول في مختلف الدول لاسترجاعه، وأعيد تمثيل المسرحية بأكملها بصورة مأساوية مرة أخرى في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين عندما أرغمت الأمم على الخيار بين حماية معدل التبادل وبين حماية مواطنيها، وكان من خلال هذا المأزق أن ظهرت الفاشية، التي جاءت لكي تحمي المجتمع من أخطار السوق عبر التضحية بحرية الإنسان.

التحول في التقدم

يذهب المؤلف إلى أن النظام المالي العالمي الحالي يختلف كثيرا عن معيار الذهب، فمعدلات التبادل والعملات الوطنية لم تعد ثابتة في علاقاتها بالذهب، فمعظم العملات يسمح لها بتقليب قيمها في أسواق الصرف الأجنبية، كما توجد مؤسسات مالية عالمية قوية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي التي تؤدي دورا رئيسيا في إدارة النظام العالمي.

لكن النقطة الأساسية التي يركز عليها المؤلف هنا هي أن ليبرالية السوق تجعل الطلب على الناس العاديين لا يستمر، فالعمال والمزارعون وصغار الكسبة لن يستطيعوا تحمل نمط من تنظيم الاقتصاد يكونون فيه عرضة لتقلبات دراماتيكية بين فترة وأخرى.

وقد شهدت الفترة الأخيرة من صعود الليبرالية الجديدة احتجاجات في كل أنحاء العالم يحاول فيها الناس مقاومة اختلالات الاقتصاد نتيجة العولمة.

وذهب المؤلف إلى أن اشتداد حالات ليبرالية السوق من دون أن تؤدي إلى أزمات اقتصادية، وذلك عبر تضافر جهود الناس من مختلف الأمم حول العالم لإخضاع الاقتصاد لسياسات الديمقراطية، ولإعادة بناء الاقتصاد العالمي على أساس التعاون الدولي.

وقد ظهرت إشارات واضحة على هذا الاتجاه، فقد نظم الناشطون في البلدان المتطورة والنامية احتجاجات ضد المؤسسات العالمية التي تفرض قواعد الليبرالية الجديدة، وبدأت فئات من جميع أنحاء العالم حوارا عالميا لإعادة بنيان النظام المالي العالمي.

دار النشر: أطلس سنة النشر: ٢٠١١
عدد الصفحات: ٣١٩

بـقـلـم جـمـال عـبـد الـنـاصـر

صدر للدكتور خالد عزب مدير إدارة الإعلام بمكتبة الإسكندرية، والباحثة صفاء خليفة، كتاب تحت عنوان بقلم جمال عبد الناصر، عن دار أطلس، وينقسم الإصدار إلى قسمين رئيسيين، القسم الأول تأمل في فكر وشخصية جمال عبد الناصر، والقسم الثاني عبارة عن مؤلفات جمال عبد الناصر كاملة وهي على التوالي رواية في سبيل الحرية، فلسفة الثورة، يوميات حرب فلسطين ١٩٤٨.

بعد مرور أربعين عامًا على وفاة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وجدنا أنه من الضروري إلقاء الضوء على أحد وأهم جوانب الشخصية الكاريزمية لجمال عبد الناصر، ألا وهو الجانب الثقافي والفكري، وقد تجلى هذا الجانب من الشخصية في سلوك جمال عبد الناصر الإنسان والزعيم ورجل الدولة.

عرف جمال عبد الناصر دائمًا بأنه أفضل قارىء، فكان شغوفًا بالمطالعة، ودارسًا متميزًا لديه قدرة خارقة على القراءة، وكذلك القدرة على الاستيعاب والتذكر بنفس المستوي، وذلك في المراحل المختلفة من حياته منذ طفولته، ومرورًا بمرحلة الدراسة الثانوية، والدراسة في الكلية الحربية، وكلية أركان الحرب وانتهاء بمرحلة ما بعد ثورة يوليو، وشكلت قراءات عبد الناصر في بداية حياته النواة التي تمحورت حولها أفكاره ورؤاه. فكانت رغبة جمال عبد الناصر شديدة في أن يعرف بنفسه كل شيء.

ويمكننا تتبع ذلك في قراءاته واهتماماته الفكرية خلال أهم فترات حياته، وكذلك في الشخصيات التي أعجب بها وكان لها كبير الأثر في تفكيره في ظل الظروف الدولية والعربية من حوله، والتيارات السياسية والإيديولوجية التي عايشها بداية من أواخر الثلاثينات وطوال فترة الأربعينيات، وكذلك في مرحلة ما بعد قيام ثورة يوليو. ولم يكتف جمال عبد الناصر بالقراءة والاطلاع ولكن كان لفكره وثقافته أبعاد أخرى كان أهمها الكتابة.

تحدثنا سطور هذا الكتاب عن أولى كتابات الطالب جمال عبد الناصر، فقد نشرت له مجلة مدرسة النهضة الثانوية أول كتاباته - مقالة بعنوان فولتير، رجل الحرية، وهو في سن السادسة عشرة من عمره. وفي عام ١٩٣٤ بدأ الطالب جمال عبد الناصر حسين وهو في السادسة عشرة من عمره في تأليف رواية في سبيل الحرية، التي تتصدر صفحتها الأولى صورة عبد الناصر، وتتناول في مضمونها المعركة الخالدة التي خاضها أهل رشيد بمصر عام ١٨٠٧، عندما تصدوا للحملة الإنجليزية بقيادة فريزر، وألحقوا بها هزيمة منكرة ثم مقدمات الحملة الفرنسية وبعدها الاحتلال البريطاني. لكنه لم ينته منها، بل كتب ستة فصول استكملها بعد الثورة قاص يدعى عبد الرحيم عجاج، وقام بنشرها في الخمسينيات.

ثم نجد موهبة جمال التمثيلية عندما قام بدور يوليوس قيصر في مسرحية شكسبير ضمن برنامج الحفلة التمثيلية السنوية لمدرسة النهضة ١٩٣٥ بعد قراءته عن الشخصية وإعجابه الشديد بها. ثم تتطرق الدراسة إلى أي مدي تأثر جمال عبد الناصر بالأحداث في مصر وعلى صعيد العالم العربي والتي دفعته نحو كتابة بعض الخطابات إلى أصدقائه يستنكر فيها تلك الأحداث والتي كان أهمها إلغاء دستور ١٩٢٣ واستصدار إسماعيل صدقي باشا لدستور ١٩٣٠، فنجد اسم جمال من ضمن أسماء الجرحي في مظاهرات نوفمبر ١٩٣٥. كما كان يراسل أصدقاءه يحثهم على المطالبة بعودة دستور ١٩٢٣، وإلغاء دستور عام ١٩٣٠، ونجد ذلك واضحًا في (خطاب عبد الناصر لحسن النشار عن الحركة الوطنية بين الطلبة لعودة الدستور).

ثم تأتي أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ ويعد هذا الحدث نقطة تحول في تاريخ حركة الثورة المصرية، كما أولد استياء بالغًا لدي الشعب والجيش معًا. وغضب ضباط الجيش من الأحداث وشعروا بالإذلال الذي واجهه الملك واعتبروه اعتداء على الشرعية والسيادة المصرية وانتهاكًا للكرامة وأن الطريقة التي سلم بها الإنذار اغتصابًا لاستقلال البلاد وسيادتها. واعتبرت كتائب الجيش بالذات أن ما حدث هو أسوأ إهانة وجهت إلي بلدها ونجد مثلاً (خطاب عبد الناصر لحسن النشار يبرز فيه موقفه من أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢).

عقب ثورة يوليو صدر كتاب فلسفة الثورة عام ١٩٥٣ الذي يعد أول وثيقة تصدر عن ثورة يوليو ومفاهيمها عام ١٩٥٣ بعد نحو سنة من قيام الثورة في تموز/يوليو ١٩٥٢، وهو كتاب لعدي أفكار الجيش جمال عبد الناصر، قام بتحريرها وصياغتها الأستاذ محمد حسنين هيكل.

كما كان لحرب فلسطين كبير الأثر علي فكر جمال عبد الناصر وقلمه أيضًا، بالإضافة إلي سلسلة من المقالات نشرتها مجلة آخر ساعة، عام ١٩٥٥، تحت عنوان يوميات الرئيس جمال عبد الناصر وحرب فلسطين. فقد كانت لدى جمال عبد الناصر نزعة قوية للتدوين، وقد سجل بخط يده، حيث كتب جمال عبد الناصر يومياته عن حرب فلسطين تحت قصف المدافع مرتين في اليوم الواحد، يبدأ بالكتابة على الأوراق الرسمية التي يعتمد عليها في كتابة تقاريره لقيادته، فهذه هي ذاكرة الكتيبة السادسة، قبل أن يسجل يومياته الشخصية، والتي تتضمن مشاعره ومكنونات نفسه على ذات الأحداث، وتمثل اليوميات - الشخصية والرسمية معًا- دمًا طوياً ومتصلاً، وكتب - في الحالتين- بذات الطريقة، المكان واليوم والساعة، وعبارات موجزة تلخص ما حدث، مسجلاً مشاعره في بعض الحالات على الوقائع والأحداث.

دار النشر: أطلس سنة النشر: ٢٠١١
عدد الصفحات: ٣١٩

تحيط بعالم المخابرات الإسرائيلية هالة من السرية والتكتم بسبب المهام الحساسة التي تقوم بها من جهة، ومن جهة أخرى يعكف المتحدثون الإسرائيليون على امتداح الدور الكبير والحاسم، الذي تقوم به الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية في خدمة الدولة العبرية للقضاء على "أعدائها" في الداخل والخارج، ويشدّدون على أنه لولا المعلومات الاستخبارية التي توفّرها هذه الأجهزة، لما استطاع الجيش الإسرائيلي القيام بحروبه. وبالتالي فقد حظيت هذه الأجهزة بـ"سمعة عالمية"، فما هي هذه الأجهزة، وما هي الجبهات التي تعمل فيها، وكيف أقيمت مع قيام الدولة، وما هي أبرز الأحداث التي قامت بها وشاركت في صناعتها، وما أبرز وسائلها وأساليبها، ومن هم رؤساؤها، وغير ذلك من الأسئلة التي تثير القارئ، يجيب عليها هذا الكتاب.

60عاما على المخابرات الإسرائيلية

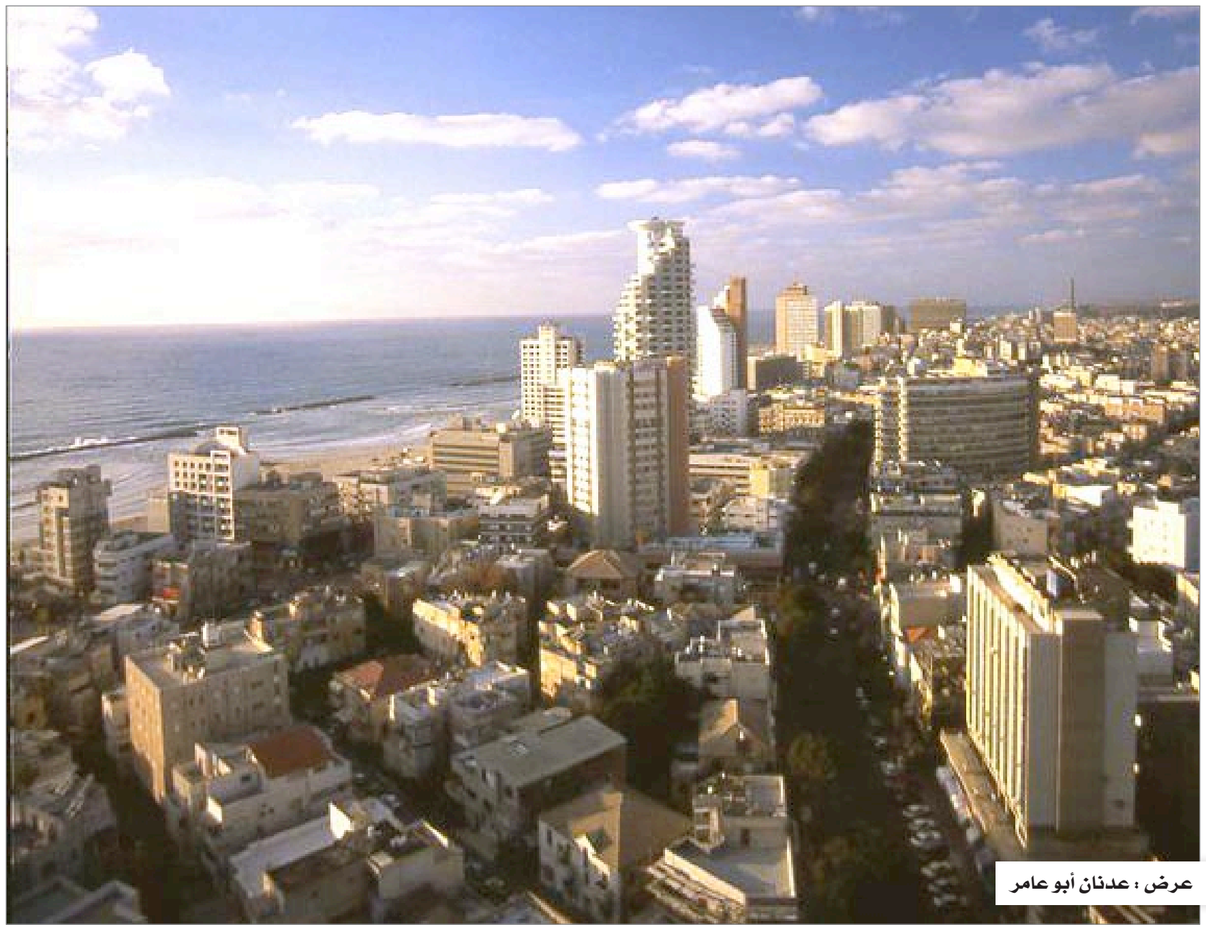

عرض : عدنان أبو عامر

هذا الكتاب الصادر مؤخرا في إسرائيل بعنوان "ستون عاما على المخابرات الإسرائيلية.. نظرة من الداخل"، يعطي جانبا آخر من الصورة غير المرئية للقارئ وصانع القرار العربي، لاسيما أنه يقدم قراءة مغايرة لدور هذه الأجهزة، من داخل البيت الاستخباري، بالنظر إلى من قام بتأليفه وإعداده.

فقد أشرف على الكتاب الأول من نوعه باللغة العبرية، الجنرال المتقاعد عاموس غلبواع، وصديقه الجنرال إفراييم لابيد، وقام بإصداره كل من مركز تراث الاستخبارات الإسرائيلي، وصحيفة يديعوت أحرونوت.

سجل الإخفاقات

يقدم الكتاب صورة مغايرة لهالة الإعجاب التي تصل أحيانا إلى حد "القداسة" للدور الذي تقوم به الأجهزة الاستخبارية، من خلال استعراضه لعدد من حالات الفشل في التقدير الاستخباري، لاسيما أن اسم "الموساد" ارتبط بسلسلة طويلة من الإخفاقات والعمليات الفاشلة التي هزّت صورته -إلى جانب سلسلة طويلة من النجاحات- تسببت مرارًا في حرج بالغ لإسرائيل، وأحيانًا ألحقت ضررًا بعلاقاتها على المستوى الدولي.

ومن أبرز وأهم هذه الإخفاقات ما حدث عام ٢٠٠٣ حين قدرت شعبة الاستخبارات العسكرية عن طريق الخطأ أن الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، كان يمتلك أسلحة غير تقليدية.

ويبدي المؤلفان "ندما" يسودبعض الأوساط الاستخبارية الإسرائيلية، بسبب التشجيع الذي مارسته تل أبيب على واشنطن لاحتلال العراق، لأنه لو بقي العراق قويا من الناحية الاقتصادية والعسكرية، وبقيت إيران كما كانت بسبب خشيتها منه، كما قال، لما كانت طهران تجرؤ على بناء برنامجها النووي.

ويكشف الكتاب للمرة الأولى عن محادثات سرية أجريت مع صدام حسين من خلال مبعوثها موشيه شاحال بدءا من عام ١٩٩٤، لكنها أوقفت بناء على طلب من الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون، انطلاقا من أن مصلحة تل أبيب في حينها كانت فتح حوار مع بغداد، لأنها لم تكن تشكل تهديدا إستراتيجيا عليها.

وفي نفس السنة فوجئت المخابرات بإعلان ليبيا تنازلها عن البرنامج النووي التابع لها، وعن الأسلحة غير التقليدية التي كانت تمتلكها، مما مهد لإعادة العلاقات الرسمية بينها وبين الولايات المتحدة.

أما في عام ٢٠٠٥ فقد قدمت شعبة الاستخبارات العسكرية والموساد تقريرا عن قدرات حزب الله، ويستشف منه أن المخابرات الإسرائيلية أخطأت في تقدير قوته العسكرية.

وعند اندلاع حرب لبنان الثانية عام ٢٠٠٦ فوجئ الجيش الإسرائيلي بعدم مصداقية التقارير الاستخبارية التي اعتمد عليها في وضع خططه العملياتية لمقاتلة حزب الله، الذي استطاع خوض "صراع أدمغة" مع الجيش، مما دفع للقول إن الفشل الإسرائيلي الأساسي في لبنان كان إخفاقا استخباريا بالدرجة الأولى.

ورغم أن ساحات العمل الإقليمية للمخابرات الإسرائيلية تشمل قارات العالم الست، فإن الساحة الفلسطينية احتلت حيزا هاما من عمل هذه الأجهزة، ومع ذلك، فقد وقعت في إخفاقات أمنية كبيرة تمثلت في الأخطاء التقديرية التي وقعت فيها.

وفي يناير/كانون الثاني ٢٠٠٦ فوجئت أجهزة الأمن الإسرائيلية، لاسيما الشاباك وأمان، بالفوز الكاسح الذي حققته حركة حماس في الانتخابات التشريعية التي جرت في الأراضي الفلسطينية، وفي يونيو/حزيران ٢٠٠٧ أخفقت المخابرات الإسرائيلية في التنبؤ بسيطرة حركة حماس عسكريا على قطاع غزة، وهو الأمر الذي لم تتوقعه، ولم تبلغ المستوى السياسي بذلك.

وهناك سلسلة تقديرات خاطئة ارتكبتها المخابرات الإسرائيلية، كلفت إسرائيل كثيرا على المدى القريب والبعيد، أهمها الحيلولة دون وقوع مجزرة باروخ غولدشتاين في الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل عام ١٩٩٤ التي أدت إلى وقوع العمليات الاستشهادية التي نفذتها حركة حماس في إسرائيل، إضافة إلى عدم قدرة الشاباك الإسرائيلي على العلم المسبق بنوايا اليمين اغتيال إسحاق رابين رئيس الوزراء الأسبق أواخر عام ١٩٩٥.

ورغم أن الكشف عن هذه الإخفاقات قد يمس الصورة التقليدية للمخابرات الإسرائيلية، فإن الكتاب يرى مبررا لذلك يتمثل في التقدم نحو تحسين الأداء، وعدم الوقوع مرة أخرى في أخطاء مصيرية من هذا القبيل، على حد تعبيره، رغم أن من يعترف بأخطائه من العاملين في عالم المخابرات أقلية، ومن يتعظ بأخطائه أقل من هذه الأقلية.

ويحاول الكتاب بنوع من الحذر أن يؤكد حقيقة مفادها أن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، مع بعض التباين، قد أصابها مع مرور الوقت -بسبب كونها أجهزة تجسسية سرية تعمل في "الظلمة" بعيدًا عن الأضواء وخارج أطر الرقابة القانونية والقضائية- الكثير من مظاهر الفساد والترهل والتضخم.

وقد ولد ذلك دعوات متكررة بين فترة وأخرى، لاسيما بعد كل فضيحة كبرى، أو فشل ذريع تعرضت له، إلى ضرورة إجراء إصلاحات داخلية، وإعادة تنظيم جذرية لأقسامها وهياكلها، وحتى مهامها ووظائفها، علما بأنه لا يتم الإعلان عن حجم ميزانيات هذه الأجهزة التي تنفقها عليها خزينة الدولة.

الرقابة العسكرية

الكتاب يقدم عرضا تفصيليا لأبرز الإنجازات والإخفاقات التي عايشتها المخابرات الإسرائيلية، وأهم العمليات التاريخية التي قامت بها، وأثرت على مستقبل دولة إسرائيل سلبا أو إيجابا، كما يقدم رؤية "تقديرية" لأهم الأخطار التي تواجهها إسرائيل، من خلال "التنبؤ" بأهم التهديدات التي ستضطر الدولة للتعامل معها خلال الفترة الحالية والسنوات القادمة.

ومع ذلك، يستدرك الكاتبان بأنهما واجها صعوبات جادة في التحايل على "الرقابة العسكرية" التي منعت نشر أي جديد في عالم المخابرات الإسرائيلية يمكن أن يضر بأمن الدولة، وبالتالي فالكتاب لا يقدم أمورا سرية تؤثر في القرارات التي قد تتخذها الحكومات الإسرائيلية في المستقبل.

الكتاب يدخل إلى تفاصيل حصول الأجهزة الأمنية الإسرائيلية على المعلومات الاستخبارية، والآليات التي تصنع من المعلومات المتناثرة هنا وهناك، ومن مختلف البقاع الجغرافية، بناء متكاملا من المادة الاستخبارية من خلال رسم صورة كاملة للوضع المطلوب استهدافه، وكيفية توظيفها سياسيا وعسكريا.

ويسلط الكتاب الضوء على العلاقات التي تربط المستويات الأمنية الاستخبارية، بنظرائها في المستويين السياسي والعسكري، مشيرا إلى نقطة هامة تتعلق بأن الخطأ الأساسي الذي وقع فيه رؤساء المخابرات الإسرائيلية يتعلق بأنهم حرصوا طيلة الوقت، مع بعض الاستثناءات، على رسم صورة أمنية ترضي الساسة وصناع القرار في الحكومة، وليس على ما هو جيد لمستقبل الدولة في المدى البعيد.

وبالتالي يعطي الكتاب بعض الدلائل على بعض المشاكل الاستخبارية -التي تقع فيها الأجهزة الأمنية لاسيما الموساد- التي تؤدي في النهاية إلى فشل استخباري يتمثل في تدفق المادة الخام غير الدقيقة إلى القادة، وتوزيع المادة الاستخبارية على محافل البحث، وبعثرة معلوماتها، وعدم الخروج بتقدير جيد، فضلا عن الترهل الإداري الذي يلعب دورا مهما في التسبب في هذه الإخفاقات.

وبالتالي، انعكست سلسلة الإخفاقات سلبًا على واقع دولة "إسرائيل"، وعلى علاقاتها الخارجية وسياساتها مع دول العالم، ولهذا فإن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق الدولة التي ينبغي عليها إعادة النظر في العديد من سياساتها الأمنية والعسكرية والسياسية أيضا.

أكثر من ذلك فإن الكتاب يشير إلى نقطة ليست ظاهرة بما فيه الكفاية، وهي الرغبات الشخصية لقادة المخابرات الإسرائيلية، وما أسماه المؤلفان بـ"الأجندة الشخصية" لهم، مما قد يترك آثاره على التقييمات الإستراتيجية لأجهزة الأمن.

يؤكد الكتاب أن بعض رؤساء الأجهزة الأمنية الإسرائيلية والمسؤولين الرفيعي المستوى يفتقرون لبعض المميزات التي يجب أن يتحلوا بها، لاسيما عدم إتقان اللغة الإنجليزية، الأمر الذي يلقي بظلاله على حجم التنسيق مع شركائهم في الأجهزة الأمنية العالمية، لاسيما البريطانية والأميركية، رغم وجود طواقم مهنية كاملة تترجم نصوص المحادثات السرية، والبيانات المنشورة، والتسريبات الصحفية.

لكن العمل الاستخباري لا يتطلب فقط مترجمين عاديين، لأن هناك حاجة لمن يفهم دلالات كل تعبير ومصطلح وكلمة.

قاموس الاستخبارات

ينشر الكتاب لأول مرة عينة من المفاهيم العملية والمصطلحات الأمنية واختصارات الكلمات التي قد تبدو كأنها لغة أجنبية، وجاء مبرر نشر ذلك ضمن ما أسماه "قاموس المفاهيم"، لتسهيل مهام المتلحقين الجدد بالمؤسسة الأمنية، ولكي يفهموا اللغة المختصرة الخاصة بهم، حيث تضمن مفاهيم استخبارية كاملة وشاملة تتيح لأي شخص الاطلاع على مفاهيم من عالم التجسس، وتحليل الرسالة السرية لرجل الموساد.

وفيما يأتي بعض المفاهيم الواردة في القاموس المذكور، غرض: شخص، موقع، شركة. تصويب: كشف والعثور على الموقع الدقيق لشيء أو إنسان بوسائل تكنولوجية. ملم: جمع معلومات استخبارية لتنفيذ عملية والتخطيط لمهمة محدودة.

استخبارات صوتية: معلومات استخبارية يتم الحصول عليها من تسجيل أصوات تتسرب من مصادر إلكترونية. عثور: بحث شامل عن أهداف بالإمكان تجنيدها، واختيار هدف معين لتوجيه القوات إليه.

ومن المصطلحات المثيرة للانتباه الواردة في الكتاب، تجنيد: إجراءات يتم خلالها الحصول على معلومات حول استعداد شخص للتعاون لتقديم تقارير وتنفيذ عمليات، بهدف تحويله إلى عميل. خداع: المبادرة بنقل معلومات أو انطباعات مبنية لمنافس بهدف التأثير على مفاهيمه وتوجهاته.

تخفيض التصنيف: مدى حساسية المعلومات، بهدف التمكين من استخدامها وتوسيع نطاق توزيعها. فرشن: لجنة رؤساء أجهزة الاستخبارات، وهي مجلس يتضمن رؤساء الأجهزة الرئيسة في الاستخبارات. بحث في الظلام: البحث عن معلومات في مخازن معلومات قائمة دون التوجه لمصادر بشرية.

تسيح: المعلومات الاستخبارية المطلوب الحصول عليها، بناء على أفضليات حددها أصحاب صنع القرار. تحقيق بريء: عرض أسئلة على المصدر للحصول على معلومات، دون الكشف عن الأسئلة المباشرة التي تثير اهتمام الجهاز.

صناع الأمن الإسرائيلي

يتضمن الكتاب ملحقين مهمين، الأول يشمل المصطلحات المستخدمة في الأجهزة الأمنية الإسرائيلية التي سبق الحديث عنها، والثاني ملحق خاص بأبرز الأحداث المهمة في تاريخ المخابرات الإسرائيلية، فضلا عن الإشارة إلى رؤساء الأجهزة الأمنية على اختلاف مسمياتها منذ نشأتها قبل ستين عاما وحتى كتابة هذه السطور.

ولعل من المناسب للقارئ ورجل الأمن العربي إعطاء لمحات سريعة عن أبرز هذه الشخصيات التي لم تكن معروفة إلى وقت قريب، وهي التي شاركت في "تأمين" حدود الدولة العبرية من جهة، ومن جهة أخرى العمل على اختراق الساحات العربية، وزرع الجواسيس فيها.

ويشير الكتاب إلى رؤساء جهاز الاستخبارات الخارجي (الموساد) وهم، روبين شيلوح وإيسار هارئيل ومائير عميت وتسفي زامير وإسحاق حوفي وناحوم أدموني وشبتاي شبيط ودائي ياتوم ومائير دغان.

أما رؤساء شعبة الاستخبارات العسكرية (أمان) فهم إيسار بئيري وحاييم هرتسوغ وبنيامين جيبلي ويهوشافاط هركابي ومائير عميت وأهارون ياريف وإلياهو زعيرا وشلومو غازيت ويهوشواع ساغي وإيهود باراك وأمنون ليبكين شاحاك وأوري ساغي وموشي يعلون وعاموس مالكا وأهارون زئيف فركش وعاموس يادلين.

وأما رؤساء جهاز الأمن الداخلي (الشاباك) المكلفون أساسا بمحاربة المقاومة الفلسطينية، فهم إيسار هرئيل وإيزي دورت وعاموس منور ويوسف هرملين وأبراهام أخيتوف وأبراهام شالوم ويوسف هرملين ويعقوب بيري وكرمي غيلون وعامي أيالون وأفي ديختر ويوفال ديسكن.

وللكتاب أهمية خاصة في المكتبة الإسرائيلية، لكونه يضم مجموعة من المقالات التي كتبها مسؤولون رفيعو المستوى في الأجهزة الأمنية الإسرائيلية الحالية، كجهاز الأمن العام الداخلي، وجهاز الاستخبارات الخارجية، وشعبة الاستخبارات العسكرية.

يضاف إلى ذلك حجم الكتاب المشاركين في إعداده، حيث يتضمن ٣٧ تحليلا لأبرز رجال الاستخبارات الإسرائيليين من مختلف الأجهزة، ومن أبرزهم رئيس جهاز الموساد مائير داغان، ورئيس جهاز الشاباك يوفال ديسكين، وشعبة أمان الجنرال عاموس يادلين.

ما تقدم من محتويات مختصرة عن تفاصيل الكتاب، يجعل من الضرورة المهمة والملحة لمراكز الأبحاث العربية القيام بترجمته بأقصى سرعة ممكنة، على الأقل في محاولة لتصوير إسرائيل على حقيقتها هي، كما وردت على ألسنة صناع القرار فيها، بعيدا عن التهويل المفتعل لأغراض سياسية مفهومة، والتهوين المخل بحقيقة هذه الدولة.

الكتاب يأخذ أهميته من كون المشاركين في تأليفه يحتلان مواقع متقدمة في إسرائيل، فالجنرال المتقاعد أفرايم لابيد (٦٦ عاما)، حاصل على شهادة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة حيفا، ويعمل حاليا مسؤولا بارزا في الوكالة اليهودية، وعمل ناطقا باسمها، ومتحدثا سابقا باسم الجيش الإسرائيلي، وهو المسؤول الأول السابق عن الإذاعة العسكرية، وترأس المركز العلمي لبحوث الاتصالات، وهو محاضر في الكلية الإسرائيلية للأمن القومي.

أما الجنرال المتقاعد عاموس غلبواع، فيعمل مستشارا بارزا لأجهزة المخابرات الإسرائيلية، وباحثا مرموقا في مركز هرتسيليا المتعدد المجالات، وهو صاحب مقال دوري في صحيفة معاريف.

وقد سبق أن تقلد مواقع بارزة في المؤسسة الأمنية، أهمها رئيس هيئة الأبحاث والتخطيط في شعبة الاستخبارات العسكرية التابعة للجيش الإسرائيلي، وعمل في السابق مساعدا لرئيس الحكومة للشؤون العربية، ومستشارا لوزير الدفاع الأسبق، ويعمل حاليا متخصصا في شؤون الشرق الأوسط بالجامعة العبرية.

المصدر: الجزيرة

«أخناتون وديانة النور»

صدر حديثا عن سلسلة مصريات التابعة للهيئة العامة للكتاب، كتاب بعنوان «أخناتون وديانة النور» للكاتب إريك هورنونج وترجمة وتقديم دكتور محمود ماهر طه.

والكتاب الذى يقع فى ١٥٨ صفحة يتناول حياة الملك أخناتون وديانته، إذا يقول المترجم فى مقدمة الكتاب، إن اخناتون هو كوكب ساطع فى سماء الحضارة المصرية، فهو من أعظم المفكرين فى تاريخ الإنسانية، فلقد اعتاد فراعنة مصر أن يكتسبوا المجد والشهرة من أعمال حربية وعسكرية داخل البلاد وخارجها أو إصلاحات إدارية وأعمال مدنية، ولكن أفكار اخناتون وأعماله ميزته عن باقى الملوك الفراعنة، فهو الملك الوحيد الذى قام برسالة دينية متميزة دون الاهتمام بالأمجاد الحربية، إن رسالة أخناتون التى تدعو إلى عبادة إله واحد، إنما هى عقيدة تختلف عن كل العقائد السابقة بل والعقائد اللاحقة أيضا فى مصر الفرعونية، فهى أقرب كثيرا إلى فكرة التوحيد الموجودة فى الأديان السماوية، مؤكدة أن كلمة إله يجب أن لا توضع فى صيغة جمع آلهة، مما دعا بعض المفكرين إلى الاعتقاد بأن هذه الديانة ربما كانت ديانة سماوية.

وعن أوجه تشابه ديانة أخناتون مع الديانات الأخرى قال المترجم، إن هناك عدة ملامح مشتركة بين الجانبين من أهمها: تحريم تجسيد الإلـه الخالق فى رسم أو صورة أو تمثال، نشر فكرة أن الإله الخالق هو النور، تأكيد أناشيد أخناتون أن الإله قوة عالمية، قيام أخناتون فى العام السادس من حكمه بالهجرة من طيبة، تطابق الأفكار الموجودة فى أناشيد أخناتون وتسابيحه، مما أعطى عقيدة أخناتون قيمة معنوية كبيرة هو اعتماده كلية على الصدق والحقيقة فى كل مظاهر الحياة.

والكتاب يحوى ١٠ فصول هي اكتشاف مؤسس الديانة، خلفية الديانة وجذورها، الخطوات الأولى، ديانة جديدة، مدينة من أجل إله، التعاليم المحضة، مسألة الوحدانية، الاعتقاد فى حياة بعد الموت دون الآخرة، سنوات مظلمة والخلفاء.

يذكر أن إريك هورنونج هو واحد من أشهر علماء المصريات وأعظمهم فى علم المصريات، خاصة الديانة المصرية القديمة، ويعمل أستاذا فخريا لعلم المصريات فى جامعة بازل بسويسرا ومن أكبر المتخصصين فى دراسة النصوص والمناظر الملكية الجنازية بمقابر وادى الملوك بغرب طيبة، وقد قام بنشر عدد كبير منها مثل رمسيس الرابع ورمسيس السابع وسيتى الأول.

"العالم من ثقب الإبرة".. في حيوية الأدب التونسي وتنوعه وغناه

على مدى أكثر من مئتين وخمسين صفحة، يقدّم الناقد والشاعر التونسي في كتابه الجديد "العالم من ثقب الإبرة" صورة شاملة عن الإبداع الأدبي في بلاده من شعر ورواية وقصّة ونقد. في هذا الكتاب الصادر بتاريخ ٢٠١١ عن دار إنانا للنشر والتوزيع بتونس، يجمع الكاتب أحد عشر فصلاً من القراءات النقديّة اما في أعمال فرديّة، كما في قراءته لرواية أسرار صاحب الستر للروائي إبراهيم الدرغوث، والتي حملت عنوان " الذاكرة والذاكرة المضادة"، وكما في قراءته لديوان آراني خويز أو رجل المعراج للراحل محمد فوزي الغزّي اما في ظواهر فنية متردّدة في عدد من الأعمال الأدبية، كما في دراسته تطور الأشكال القصصية في القصة القصيرة التونسيّة وكما في دراسته ظاهرة الخطاب الواصف في أربع روايات، أو ملاحظاته حول ظاهرة التجريب في سرد التسعينات.

عرض: أمين العربي

عناوين الفصول هي على الترتيب: الذاكرة والذاكرة المضادة في أسرار صاحب الستر، الآن إلى نفسك تسكن قراءة في شاهدة قبر، التحوّلات الاجتماعية وتطوّر الأشكال القصصيّة، الشعر في الرواية التونسيّة من العتبات إلى المتون، قضايا الأدب العربي بعيون تونسيّة، تجربة شعراء التسعينات من خلال بياناتهم، الخطاب الواصف في نماذج من الرواية التونسيّة، المرجع الصوفي في قصائد محجوب العيّاري، المرايا المتناظرة في شبابيك منتصف الليل للدرغوثي، تجلّيات المعنى في نماذج من الشعر التونسي في التسعينات، التجريب في السرد التونسي.

هذه العناوين تعرّضت لعدد كبير من النصوص التي تشترك في حداثتنا، حيث عدّ الغلاف الخلفيّ للكتاب أكثر من عشرين أسما تناول الناقد أعمالها بالدراسة والنقد والتعليق، وهي أسماء ينتمي أغلبها إلى مرحلة التسعينات، وهو ما يعني أنّ بن عيسى لم يعتن بالأسماء الراسخة في الأدب التونسي قدر عنايته بتقديم شهادة عن الحراك الأدبي في بلاده خلال المرحلة التي تعتبر بشهادة الكثيرين الأكثر غنى وتنوّعا وغزارة إنتاج في تاريخه الطويل.

هذا المعنى هو الذي أشار إليه بن عيسى في المقدّمة قائلا: "يجد القارئ في مقالات الكتاب قراءات متنوّعة لمتون تونسيّة في فنون مختلفة، وقع اختيارنا عليها لأسباب لا تتعلّق بشهرة أصحابها قدر تعلّقها بالقضايا التي أثارتها فينا ونحن بصدد قراءتها، ضمن سياق ثقافي عام اخترناه منذ دخلنا غمار الكتابة الأدبيّة، يقوم على أسبقيّة النصّ الأدبي التونسي في الاهتمام النقديّ من أجل إحلاله المحلّ الذي هو جدير به بين آداب العربية". كما يشير المؤلف في موضع آخر من المقدّمة إلى غايات التأليف قائلا " ظللنا طوال فصول الكتاب مخلصين لرغبتنا في تأكيد التنوّع والغنى الذي صار عليه الأدب التونسي، حقيقة لمسناها خلال سنوات معاشرتنا نصوصه شعرا وسردا، وعملنا على تمحيصها من خلال هذا الكتاب".

لم يلتزم بن عيسى في مقالات كتابه منهجا واحدا، ولا اعتنى بجانب واحد، من جوانب النصوص المدروسة سواء في مظاهر الفنّ أو المضمون، فقد تناول القضايا المضمونية التي تثيرها بعض النصوص كقضيّة التعدّد والهويّة في دراسته لرواية أسرار صاحب الستر، كما أثار مواضيع تتعلّق بالتناص والتداخل بين النصوص في دراستين، تتعلق الأولى بالرواية في علاقتها بالنصوص الشعريّة، وتتعلّق الثانية بالشعر الحديث في استدعائه للنصّ الصوفي من خلال مدوّنة الشاعر محجوب العيّاري، بل إنّ فصلين من الكتاب، وهما الفصلان الأخيران منه، لا يبدو أنّ الكاتب قد التزم فيهما بأيّ منهج، فقد كانا مجموعة من التعاليق السريعة حول مجموعة كبيرة من النصوص الشعريّة والسرديّة، انتظمت ضمن موضوعين هما، قضية المعنى في الشعر الحديث، وقضيّة التجريب في الأشكال القصصيّة.

إنّ الكتاب في نهاية المطاف وإن لم يرق إلى الكتابة النقديّة الأكاديميّة "ولا نعتقد أنّ ذلك كان غاية لدى كاتبه" فقد استطاع أن يستفيد من مناهجها وطريقتها في البحث والاستقصاء، وبذلك حافظ بن عيسى على حيويّة النقد وساهم بقسط مهمّ في التعريف بواقع الأدب في بلاده وغزارة إنتاجه وتنوّع مشاربه.

«القرطاس القلم».. هكذا تكلم رشيد نيني المغاربة

صدر في الرباط أول كتاب يحاول الإجابة عن السؤال الذي ظل يطرح في المغرب خلال السنوات الأخيرة: لماذا واظب المغاربة لمدة تناهز عقدا من الزمن على قراءة كتابات الصحافي والكاتب «المعتقل» رشيد نيني؟ فمعروف في المغرب أن مدير الجريدة الأكثر انتشارا في المغرب شكل ظاهرة فريدة من نوعها من حيث المقروئية التي يحظى بها خصوصا لزاويته اليومية الشهيرة «شوف تشوف» «أنظر تجد».

حاولت مقالات صحافية وعلى الشبكة العنكبوتية تقديم قراءات نقدية لمقالات الكاتب رشيد نيني لكن كتاب «القرطاس القلم، هكذا تكلم رشيد نيني» لصاحبه المترجم والكاتب المبارك الغروسي هو الأول الذي يرصد آليات اشتغال الكتابة عند رشيد نيني في محاولة لفهم أسباب انتشارها بين المغاربة دون غيرهم... إذ ينطلق المحلل من مبدأ أساسي في عمله يفيد أن رشيد نيني يكتب للمغاربة دون غيرهم من حيث أنه يعزف على أوتار لغتهم ويخاطب وجدانهم ووعيهم ولاوعيهم ليحقق «فتوحاته الكتابية المبهرة».

يعرض الكاتب المبارك الغروسي بالتحليل مقالات زاوية رشيد نيني الشهيرة وكذا سيرته الذاتية «يوميات مهاجر السري» ليرصد أوجه الاتصال والاستمرارية بين الكتابة الأدبية والإبداعية وكتابات الرجل الصحافية ...

يرصد الباحث في مقالات رشيد بلاغة العنوان المستلهمة للعبارات والأمثال الشعبية الغارقة في الحكمة الشعبية والوعي الجمعي والغنية بالشعرية.. كما يحلل البناء الخطابي للعمود ويثبت انه ينضبط لقواعد الخطابة الأرسطية التي تتحقق من خلال بناء رصين يبتغي لفت الانتباه والإمتاع والإفادة والإقناع من خلال الحجة المناسبة للجمهور المستهدف، إذ يخلص الكاتب إلى أن سر نجاح حجاج نيني بين جمهوره يكمن في أنه يعتمد حجة وجدانية حدسية تلك التي يصفها أرسطو منهجا ملائما لمخاطبة الجمهور العام ...

ويستنتج الباحث أن نجاح كتابات رشيد نيني جعلته مدرسة في الكتابة التأملية في الصحافة إذ صار له مقلدون وتلاميذ يقتفون أثر كتابته ويعتمدون لغتها وبناءها في مقالاتهم فكان منهم من نجح بينما كان حظ أكثرهم أقل بهجة لأنهم سقطوا في التقليد المصطنع... ولم يفت الراصد للظاهرة النيني وتطورها مع مرور السنين ومع اتساع النجاح أن يسجل تورط الرجل في مسؤولية مجتمعية ورمزية أكبر مما كان يتوقع أثقلت كاهله وحولت كتابته نحو جد أكبر بعد أن تميزت في بداياتها بشغب الكلمة الهزلية والساخرة..

يحلل كتاب «القرطاس القلم، هكذا تكلم رشيد نيني» في فصله الثاني مؤلف رشيد نيني «يوميات مهاجر سري» الذي عرف هو أيضا نجاحا كبيرا أيضا حيث يرى الكاتب أن هذا الكتاب ليس سيرة ذاتية لكاتبها كما ذهب إلى ذلك النقاد بل إن سر نجاحه يكمن في كونه سيرة جمعية لجيل من المتعلمين أجبرتهم ظروف مغرب ما بعد سياسة التقويم الهيكلي إلى الهجرة لتأتي هذه اليوميات ناطقة باسم عقل ونفسية كل ذلك الجيل.

يرصد المبارك الغروسي في تلك اليوميات صوت «الهجرة والتكفير» الذي كان شعار هذا الجيل حيث وضع «الهجرة» صوب عينيه كحل وحيد وأوحد للأزمة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وذلك بنفسية تكفر بالوطن وبكل المثل والقيم التي تربى عليها.. يقف المحلل في الكتاب كذلك على الجوانب الأدبية في الكتاب من خلال ربطها بممارسة عوالم ولغة الكاتب المغربي الأشهر محمد شكري من خلال رصد رشيد نيني لعوالم الهجرة والهامش في بلاد الغرب، كما يسجل كتاب «القرطاس والقلم» أن اعترافات الكاتب في يوميات الهجرة بخطايا وإغراءات الذات والنفس الأمارة بالسوء تشكل مسارا أدبيا وإبداعيا يمضي على نهج جنس «الاعترافات» كما نجدها عند المؤسسين: القديس أوغسطين وجان جاك روسو...

يخلص الكتاب في خاتمته إلى أن ما يميز مسار الكتابة عند رشيد نيني أنها تبنى تجربة عنقائية إذ تعيد خلق ذاتها من رماد حرائق الأزمات المتكررة التي جعلها رشيد نيني موضوعا لكتاباته ومشاريعه... ولعل محنة السجن التي يعيشها هذه الأيام فاتحة انبعاث أدبي يؤسس لمرحلة نجاح أدبي أخرى...

البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي

صدر مؤخراً كتاب «البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي» للمؤلف الدكتور سعد الدين كليب ضمن إصدارات الهيئة العامة لقصور الثقافة برئاسة الشاعر سعد عبد الرحمن.

يحتوى الكتاب على خمسة فصول الأول بعنوان «نظرية الفيض في الفلسفة والتصوف»، الفصل الثاني بعنوان «مفهوم الكمال جوهرا في الفكر العربي الإسلامي»، أما الفصل الثالث فيحمل عنوان «القيم الجمالية»، الفصل الرابع بعنوان «اللذة الجمالية»، الفصل الأخير بعنوان «الجلال والجمال في الإنسان الكامل».

ويؤكد المؤلف في كتابه على أن الفكر الجمالي العربي الإسلامي يتصف بعمق في طرح المسائل الجمالية، فلم يكن المبحث الجمالي فيه ثانويا بل إن له مكانة هامة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها، كما يرتبط هذا المبحث بكل من مباحث الإلهيات والمحبة واللذة والحواس والقوى الإنسانية بحيث يصبح التوكيد أن صورة الفكر العربي الإسلامي لا تكتمل دون منظومته الجمالية.

وعلى الرغم من ذلك فقد بقي الاهتمام الحديث والمعاصر به قليلا ونادراً، وغالبا ما يتم تناسيه، ولولا قلة قليلة من الأبحاث العلمية الجادة وهذا الكتاب من بينها لا أمكن القول بأن هذا الفكر ما يزال يعاني الإهمال.

ثورات القوة الناعمة في العالم العربي

يرى الفيلسوف والمفكر اللبناني علي حرب في كتابه الصادر حديثا والساعي إلى تقييم الحراك الثوري العربي أن هذه الانتفاضات الراهنة ما هي إلا ثمرة فتوحات العولمة التي كانت مصدر فزع -وهنا تكمن المفارقة- لدى الرافضين منها على هوياتهم الثقافية أو المتمسكين بعقائدهم القديمة والحديثة. بالتالي فإن ما قدمته العولمة من الإمكانات الهائلة بأدواتها الفائقة وشبكاتها العنكبوتية ووقائعها الافتراضية، باتت معطيات لا غنى عنها في فهم الواقع وادارته وتغييره لاعادة تركيبه وبنائه، إذ هي غيرت نظرة الإنسان إلى نفسه وبدلت موقعه في العالم بقدر ما غيرت علاقته بمفردات وجوده سواء تعلق الأمر بالهوية والثقافة والمعرفة أو بالحرية والسلطة والقوة.

عرض : محمد تركي

لكن برأيه لا يعني ذلك أن الثورة في مصر وتونس وبقية الدول العربية التي لم تكتمل فيها الثورة بعد هي ثمرة الآلات الصماء، فالتقنيات ثمرة للعقول والأفكار، ولكنها تفتح بدورها إمكانات للتفكير والتدبير.

من هنا تحتاج الآلات لكي تستثمر بصورة نافعة وملائمة إلى عقول فعالة تحسن قراءة المجريات ورصد التحولات، كما تحتاج إلى فكر حي وخصب يقدر أصحابه على ترجمة المعطيات إلى إنجازات تتجسد في مبادرات فذة أو أحداث خارقة أو أعمال مبتكرة، في غير مجال سياسي أو اقتصادي أو ثقافي.

وعليه فإن الثورات الجارية متعددة الأبعاد، إذ هي سياسية بقدر ما هي فكرية، وتقنية بقدر ما هي ثقافية، وخلقية بقدر ما هي اقتصادية، فهي في جوهرها تجسد ولادة فاعل جديد على المسرح، هو الإنسان الرقمي ذو الاختراع والابتكار والتحويل والبناء والتجاوز.

عصر الليكزس واقتلاع شجر الزيتون

جزم علي حرب في هذا الفصل بأن نجاح الثورات في العالم العربي سوف يطوي حقبة فكرية ويفتتح أخرى، وما سيطوى ويجري تجاوزه هو عصر الأيديولوجيات الشمولية والأصولية التي استمرت عقودا والتي تجسدت في عدة نماذج أهمها:

- النموذج النضالي الأفل لحركات التحرر الوطني التي أخفقت في شعاراتها سواء تعلق الأمر بالوحدة والاشتراكية والتقدم أو بالتحرير والممانعة والمقاومة.

- النموذج النخبوي الفاشل الذي اشتغل بعكس بتلفيق النظريات وفبركة الأوهام، لكي ينتجوا عزلتهم وهشاشتهم وهامشيتهم على مسرح الأحداث.

-النموذج البيروقراطي العاجز الذي يستخدم أصحابه في الإدارة أساليب مستهلكة أو بائدة تولد هدر الجهد والوقت والثروات.

وإذا كان العالم العربي قد تأخر عن الانخراط في العالم الجديد بثرواته وتحولاته وانعطافاته التقنية والعلمية والمعرفية كما فعلت أكثر المجتمعات، فإنه يستدرك الآن ما فات عبر الأجيال والقوى الجديدة التي انخرطت في سباق العقول بعدة مستويات.

الأول: خلع عباءة الأيديولوجيات المقدسة بثروتها ومقاومتها وانقلاباتها وأحزابها.

الثاني: كسر عقلية النخبة والانتقال إلى المجتمع التداولي حيث كل الناس فاعلون ومشاركون في أعمال البناء والإنماء، كل من موقعه وبأدوات اختصاصه وإبداعاته في مجال عمله.

الثالث: التخلي عن منطق العنف للعمل على تغيير الأوضاع وتحسين الأحوال بأساليب ووسائل سلمية مدنية وتواصلية، خاصة أن الميل إلى السلم يقوى يوما بعد يوم على وقع الأزمات وعلى نحو تزداد معه القناعة بحاجة البشرية إلى الانضواء تحت سقف رمزي خلقي يستبقي أو يستنجد بقيم التقى والتواضع والاعتراف والزهد.

وبرأيه فإن لكل عصر ثوراته وقواه، وهذا ما لم يكن واردا في حسبان القوى المهيمنة القومية واليسارية، الحداثية والتراثية، الدينية وغير الدينية، لأنها كانت ولا تزال تقرأ المجريات أو تدير الشؤون بأدوات العصور الآفلة وثوراتها الفاشلة بشعاراتها ونماذجها ولجانها ومليشياتها.

وهكذا فبينما كان الحاكم والداعية والمثقف أو المتلاعب والمضارب يتربع في سلطته المغتصبة، أو يتنعم في ثروته غير المشروعة، أو يتشبث بعقائده البائدة وأفكاره المستهلكة أو يدافع عن هويته العاجزة وثوابته العميقة، كانت تعتمل وتتشكل في رحم المجتمعات العربية قوى صاعدة جديدة بصورة صامتة وغير مرئية من غير ادعاء، استفاد أصحابها من التحولات التي صاحبت الموجة الحداثية الجديدة، بأدواتها الفائقة ومعطياتها السيالة ووقائعها الافتراضية.

وهكذا فإن العولمة بتقنياتها وثرواتها وتحولاتها أدت إلى تشكل فاعل جديد على المسرح يمثله نموذج الإنسان الرقمي، الذي بدأ يتصدر الواجهة منذ عقدين لكي يسهم في صنع العالم وتغير الواقع كما هي حال العاملين على الشبكات بمختلف منوعاتها.

وبالتالي إذا كان للثورات الجديدة بطابعها السلمي والمدني أن تفيد من إخفاق ما سبقها، فعليها أن تعمل بالتحرر من الشعارات ذات الطابع الطوباوي، بحيث يجري التركيز على ما يتعلق بالوجود اليومي المعيش والآني بمشاغله وهواجسه.

ولعل المفارقة العجيبة برأي حرب تبرز أيضا من ناحية التأثيرات المتبادلة بين انتفاضة وأخرى. بذلك تثبت الشعوب العربية من جديد أنها تمارس وحدتها من غير ادعاء أو تنظير.

وتلك هي المفارقة، إذ بينما كان دعاة الوحدة ومنظروها من حكام ومثقفين يدمرون فكرة الوحدة من فوق بفكرهم الأحادي الفئوي والطائفي، الذي لا يتسع لتوحيد حي في مدينة كانت المجتمعات العربية تنخرط في صنع عالم عربي مشترك بتشكيل بناه التحتية وفتح ما يحتاج إليه من الأسواق والمساحات أو تشكيل ما يتأسس عليه من اللغات والقواعد الجامعة والمشتركة، كما تشهد اللقاءات والندوات والمؤتمرات والمعارض في كل المجالات والميادين.

وهكذا فما يجري من ثورات عابرة يحطم الحدود المادية والرمزية لكي يفسح المجال واسعا للتبادل بين بلد عربي وآخر.

سقوط أوهام المثقف

بالطبع المثقفون هم أول من تفاعل مع الأحداث على هذا الوجه أو ذاك، ليس فقط لأن الأحداث شكلت مادة دسمة للكتابة والتعليق والتحليل، بل لأنهم يتصرفون دوما بوصفهم الأوصياء والوكلاء الحصريين على القيم العامة المتعلقة بالحقيقة والعدالة والثورة والهوية والأمة.

وهم إلى ذلك قد فقدوا المصداقية والمشروعية والفاعلية منذ زمن طويل، سواء من حيث نماذجهم في فهم العالم أو من حيث برامجهم في تغيير الواقع.

فالعالم تغير ويتغير بعكس تصوراتهم وخططهم، والأهم أنه يتغير على يد قوى جديدة كانت مستبعدة أو مهمشة وربما محتقرة من جانب المثقفين الذين يدعون احتكار الوعي والعلم والمعرفة بأحوال العالم، فإذا بهذه القوى تبدو حية ناشطة فعالة أكثر مما يحسب دعاة التقدم والتغيير.

ومن المفارقات أن فلاسفة العرب ومفكريهم ما زالوا يثيرون أسئلة النهضة ومشكلات الحداثة، في حين أن الفاعلين العرب الجدد قد تجاوزوا الحداثة إلى ما بعدها بانخراطهم في الحداثة الفائقة والسيالة للعصر الرقمي والواقع الافتراضي.

ولذلك يرى حرب أنه لا بد من أن نعترف بفشلنا وإفلاسنا، وبأن جيلنا قد أورث الأجيال الجديدة كل هذا التردي والتراجع. ومؤدى هذا الاعتراف أن المثقف العربي ما هو إلا الوجه الآخر للأنظمة التي يدينها وينتقشي لانهيارها.

فالحاكم والمثقف كلاهما متأله وعاشق لذاته نابذ لغيره، الأول ينفرد بالسلطة والثاني يحتكر الحقيقة، وبالتالي فإن ما جرى في تونس ومصر وغيرها من البلدان العربية، إنما يفكك ثنائية النخبة والجماهير بقدر ما يكسر عقلية الوصاية على القيم والمجتمعات بعقل نرجسي وفكر أحادي.

ويتابع الكاتب نقده لأوهام المثقف ليفاجئنا بالقول بأن من المفارقات الفاضحة أن يتوجس تشومسكي أو غيره من الكتاب اليساريين ونظرائهم العرب من العولمة والليبرالية الجديدة، فيما هي فتحت الإمكان الواسع لولادة نظام عربي جديد ديمقراطي بكسرها للحواجز والحدود على النحو الذي يتيح بث الصور والحصول على المعلومات بسرعة البرق والفكر.

ومن هنا فإن الانتفاضات الجارية تعطي مصداقية لفوكوياما وليس لهنتنغتون، لأن الأول نظر بعين الذاكرة الموتورة المشدودة إلى الماضي، كما تشهد مقولته "صدام الحضارات"، أما الثاني فقد نظر بعين البصيرة العاقلة فتوقع انتصار الديمقراطية في ظل تحولات العولمة الليبرالية.

من الأمني إلى المدني

إن مفهوم القوة أخذ في التغير، إذ القوة العارية بعنفها وحروبها وأبطالها وكوارثها بالطبع، لم تعد تغري العقلاء الذين استفادوا من دروس الحروب التي لا تنتج في عصر سمته "التشابك والتواطؤ" سوى الدمار المتبادل.

هذا التغير تعبر عنه ولادة مفهوم "القوة الناعمة" كما تتجسد في الإبداعات والاختراعات التي تتجسد إنجازات ومآثر سواء في مجالات العلم والأدب والفن والثقافة عموما، أو في عالم الأدوات والتجهيزات النافعة أو في نماذج التنمية وأساليب العيش وأنماط الحكم الرشيد.

من هنا فإن أنظمة الاستبداد والفساد التي يشتغل أصحابها بقمع الحريات وانتهاك الحقوق أو يخفقون في تحديث الاقتصاد وتحسين مستوى المعيشة لا تشكل دولا قومية أو مقاومة بل هي "تدمر مصادر القوة والمنعة" لدى شعوبها بقدر ما تشوه سمعتها في الخارج.

وبالعكس فإن الدول التي تحسن إدارة الشؤون ورعاية المصالح واستثمار الموارد سواء على صعيد اقتصادي ببناء نماذج تنموية ناجحة أو على صعيد سياسي بالتحول من كونها أنظمة أمنية بوليسية إلى مجتمعات ديمقراطية، تصبح محط النظر والتقدير في العالم بقدر ما تصبح أقوى وأكثر فاعلية في مواجهة التحديات والضغوط والعواصف التي تهب من الخارج.

من البطولات إلى الثورات

ترى العديد من الدراسات أن البطل يعرف دوما بوصفه من يضحي بنفسه من أجل سواه أو من أجل قضية يرفعها إلى مرتبة القداسة، ولكن هذا التعريف برأي حرب يغفل الوجه الآخر للعملة، وهو كون "البطل يملك القدرة على أن يموت، بقدر ما يملك القدرة على أن يقتل غيره".

وبهذا القول لا بد من أن يتم إنزال البطل عن عرشه وتجريده من طهره لكي يبرز وجهه الآخر الذي يتم طمسه، وهو أن البطل ليس إلا "قاتلا" في النهاية، وذلك لأنه لا يقتل دوما في حالة الدفاع المشروع عن النفس، وإنما قد يمارس العقيدة لنشر عقيدة يعدها صحيحة أو لتطبيق نظرية يعدها عادلة وقد تكون غير ذلك في نظر سواه.

بهذا المعنى فإن تمجيد البطولات مديح للعنف وحض على ممارسته، رغم أن العنف ضرورة لا مهرب منها، يلجأ إليها الواحد في الحالات القصوى، التي هي الدفاع المشروع عن النفس أو الأهل أو الوطن، ولكن ذلك لا يعد بطولة، وإنما ضرورة من أشنع الضرورات.

ولذلك يرى الكاتب أنه لا بد من أن نعترف بذلك إن شئنا التخفيف من منازع العنف، فلا نمتدح القتل أيا كانت مشروعيته ومبرراته.

ومن هذه الرؤية الجديدة للعنف تكمن أهمية الثورات العربية من ناحية تأكيد مطلقيها على عدم استخدام العنف، فهي انتفاضات سلمية وليست كالثورات والبطولات التاريخية والدموية التي تجسد في وجه من وجوهها الوجه البربري للبشرية.

بل ما تحاوله الثورات الجديدة هو افتتاح عصر جديد من عناوينه الحياة والنماء والفرح والجمال والمستقبل، ولذلك استحقت ثورة مصر أن تدعى بـ"ثورة النيل"، كما استحقت تونس أن تكون "ثورة الياسمين".

المصدر: الجزيرة

جرائم الصحافة

الصحافة من أهم الوسائل المتقدمة التي تضمن للإنسان الحرية، بحيث يمكن القول إن حرية الصحافة تعد مقياسا لحرية الشعوب، فحرية الرأي والتعبير تكمن في جريدة أو كتاب أو في خطاب مصور أو مذاع. وقد نصت على هذه الحريات الإعلانات الوطنية والإقليمية والدولية، وجميع الشرائع والدساتير العالمية انطلاقا من الشريعة الإسلامية مرورا بالإعلانات العالمية وصولا إلى الدساتير الوطنية. فالصحافة إذن تلعب دورا هاما في نقل مختلف الأفكار ولها دور سياسي واجتماعي هام في تنوير العقول ورفع اللبس ونشر الحقائق للناس، لكن بالرغم من كل هذا، لا تعفى من المسؤولية عندما يتجاوز الصحفيون الحدود بإحداثهم أضرارا تمس الفرد وحتى النظام العام للدولة التي يقعون تحت نظامها القانوني. وعليه تساءل مؤلف هذا الكتاب عن وجود علاقة بين حرية الرأي التي تجسدها الصحافة وبين الظاهرة الاجرامية، وهل يمكن أن تؤدي ممارسة حرية الرأي إلى ارتكاب الجريمة؟ فجاء الكتاب ليجيب عن هذه الإشكالية الأساسية.

عرض: سكينة بوشلوح

ماهية الجرائم الصحفية

من المنطقي أن تكون للصحافة علاقة غير مباشرة بالظاهرة الإجرامية سواء بالسلب أو الإيجاب، بأن تكون عاملا مانعا يحول دون ارتكاب الجرائم أو دافعا يؤدي بشكل غير مباشر إلى ارتكابها.

والعلاقة الجدلية لا تزال قائمة بين تيارين يرى أحدهما أن الصحافة أنشئت بهدف مكافحة الجريمة، ويرى الآخر أنها تدفع لارتكابها، ولكل حججه.

ويرى المؤلف أن الصحافة ربما لا تكون وسيلة من الوسائل التي تدفع إلى ارتكاب الجريمة، ولكنها قد تساهم في ارتكابها، وغالبا ما تتمثل هذه الجرائم في التجاوز في ممارسة حرية الرأي. فمن المعروف أن وسائل الإعلام لا تقتصر فقط على نشر الوقائع والأخبار بل تتجاوز ذلك إلى التعليق عليها، كما أنها تعرض الأفكار والآراء الخاصة.

فالصحافة قد ترتكب أفعالا يتحقق فيها التجاوز في ممارسة حرية الرأي، كالقذف والتنويه بالجنايات والجنح وجرائم إهانة رؤساء الدول والبعثات الدبلوماسية وإهانة الدين الإسلامي والديانات الأخرى وكذلك نشر مداولات الجهات القضائية.

كما ترتكب الصحافة بعض الجنايات التي من شأنها المساس بالنظام العام والأمن العام كجناية نشر أخبار خاطئة مغرضة تمس أمن الدولة والوحدة الوطنية أو تتضمن سرا من الأسرار العسكرية.

كل هذه الجرائم ترتكب بصفة مباشرة عن طريق الصحافة أو إحدى الوسائل المتصلة بها، ومع ذلك فإن أغلب التشريعات وقوانين الإعلام لم تتضمن تعريف الجريمة الصحفية رغم الأهمية التي تكتسيها والدقة والوضوح اللذين يقتضيهما القانون الجزائي.

وقد قام المؤلف بعرض بعض التعريفات من خلال استقراء التشريع الجزائري والتشريعات المقارنة المشابهة، مركزا على التشريعين الفرنسي والمصري، حيث أجمعت كلها على أن الجريمة الصحفية هي ذلك العمل غير المشروع الصادر عن أي شخص من شأنه مخالفة التنظيم الإعلامي وأجهزته أو الاعتداء على مصلحة عامة أو خاصة بواسطة أية وسيلة من وسائل الإعلام.

فجرائم الصحافة إذن تتميز عن باقي الجرائم بمجموعة من الخصوصيات لاسيما في أركانها العامة، إذ يميزها ركن العلانية فإذا لم تكن تلك الجرائم المرتكبة تصل إلى الجمهور علانية ينتفي عنها تكييف الجرائم الصحفية.

غير أن المؤلف يعيب على المشرع الجزائري -سواء في قانون الإعلام أو قانون العقوبات- عدم تحديده الوسائل التي تتحقق بها العلانية مثلما فعل المشرع الفرنسي والمشرع المصري، وهذا قد يثير اختلافا ينتج عنه إجحاف بحقوق المتقاضين، ويقترح المؤلف تحديد وسائل العلانية تحديدا دقيقا في مادة مستقلة.

من المسؤول جزائيا؟

يشير الأستاذ طارق كور إلى أن الصحافة من أهم الوسائل التي تنقل الفكر إلى الجمهور، غير أن النشريات بصفة خاصة تتميز بنشر تلك الأفكار والآراء عن طريق الطباعة، وينتج عن ذلك تعدد المتدخلين في ذلك النشر، وقد يتسع نطاق تدخل الأشخاص في هذه العملية إلى الموزعين والمعلنين والبائعين، خاصة إذا كانت النشرية أو الصحيفة من الصحف الهامة.

وهذا التعدد في اختلاف المشاركين يشكل صعوبة كبيرة في تحديد مسؤولية كل شخص، وأكثر من ذلك اعتماد الكثير من الصحف والمجلات على نظام عدم التسمية في التحرير الذي يعطيها الحق في نشر مقالات أو أخبار دون ذكر اسم الكاتب، وكذلك نظام سرية التحرير الذي يعطي رئيس التحرير أو مدير النشرية كامل الحق في الاحتفاظ بالمصادر التي استقى منها الصحفي معلوماته أو إخفائها.

والأخذ بهذين النظامين يشكل -بحسب رأي المؤلف- صعوبة كبيرة سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية في معرفة المؤلف أو مصدر الخبر، بالإضافة إلى ذلك فإن هذا التعدد يجعل من الصعب تمييز الفاعل الأصلي من الشريك، وهذا معناه إفلات البعض من العقاب ما دام مرتكب الجريمة لا يمكن تحديده.

وقد اعتبر الباحثون في مجال جرائم الصحافة أن هذه الأنظمة من عوارض تطبيق الأحكام العامة للمسؤولية الجزائية؛ لذا كان لزاما على التشريعات الحديثة أن تجد حلا لهذه الإشكالية حيث أوجدت أسسا أعطت نتائج مهمة في تحديد دقيق وشامل لكافة المشاركين في جرائم الصحافة، فأغلب التشريعات الحديثة أخذت بفكرة المسؤولية التدريجية باعتبارها تسهل على القضاة بالدرجة الأولى معرفة الفاعل الأصلي لجرائم الصحافة.

وقد أخذ المشرع الجزائري -على غرار المشرع الفرنسي والمصري- بهذه الفكرة، فالمتأمل في بعض النصوص الواردة في قانون الإعلام يكتشف أن المشرع الجزائري يعتبر المدير والكاتب فاعلين أصليين بالنسبة للنشريات الدورية والإذاعة والتلفزة، ومن ثم مسؤولين مسؤولية مفترضة، إلا أن مواد أخرى تشير إلى متابعة مدير النشرية وكاتبها باعتبارهما متواطئين، ومن هنا يلاحظ المؤلف سوء صياغة هذه المواد.

والإشكالية التي تثار كذلك في مجال مسؤولية مدير النشرية والكاتب هي أن المدير ملزم بالسر المهني، فالمدير لا يسأل إطلاقا في حال كشف اسم الكاتب بصفته فاعلا وهذا غير مقبول.

نفس القانون يلزم الصحفيين والكتاب الذين يستعملون أسماء مستعارة بأن يعلموا كتابيا مدير النشرية بهوياتهم قبل نشر مقالاتهم.

والحكمة من إلزام الصحفيين بالتصريح بهويتهم لدى مدير النشرية هي الكشف عن هويتهم عندما يلزم القانون بذلك، والمدير هو الفاعل الأصلي للجريمة الصحفية بحكم القانون سواء عرف الكاتب أم لا، وقد أكد هذا الاتجاه المشرع المصري، ومرد ذلك إلى أن منزلة المدير تجعله يراقب ويشرف على كل ما يكتب في الجريدة لأن له إمكانية الاطلاع على كل ما ينشر في الجريدة التي له السلطة على إدارتها، كما أكد المشرع الفرنسي على ذلك أيضا.

وانطلاقا من كل ما ذكر فإن الصعوبة في تحديد هل الكاتب والمدير فاعلان أصليان في القانون الجزائري ترجع إلى سوء صياغة النصوص وعدم اتباع المنطق القانوني الصحيح في الصياغة من طرف المشرع الجزائري دون التدقيق في نقلها، وعليه كان لزاما على القضاة الرجوع إلى كل من المشرع الفرنسي والمشرع المصري لمعرفة المركز القانوني لكل من المدير والكاتب باعتبار أن القانون الفرنسي هو المصدر.

قانون الإعلام بين الرفض والطلب

يرى المؤلف أن خصوصيات جرائم الصحافة تظهر أكثر فأكثر في نظامها للمتابعة، إذ يطرح إشكاليات عديدة سواء من الناحية النظرية أو من الناحية التطبيقية، ذلك أنها تنفرد ببعض الإجراءات الخاصة وبنظام للجزاء أعطته التشريعات أهمية كبرى حيث خصصت له عقوبات أصلية وأخرى تكميلية جعلت جرائم الصحافة تنفرد بها عن باقي الجرائم الأخرى.

والملاحظ من خلال قانون الإعلام والعقوبات أن المشرع الجزائري قد أقر لكل جريمة عقوبة خاصة راعى فيها خصوصية كل جريمة وطبيعتها وخطورتها.

والشيء الملاحظ أيضا هو الأهمية التي أعطاها المشرع الجزائري للعقوبات التكميلية لما للوسائل التي ترتكب بواسطة الصحافة من خطورة كبيرة في سرعة نشر وإيصال الأخبار إلى الجمهور، كالمصادرة أو توقيف نشر الجريدة، وقد وفق في ذلك حسب رأي المؤلف إلى حد بعيد، ذلك أنه اتبع منهج التشريع الفرنسي والمصري، والأهم أنه حدد مقدار العقوبات أخذا بعين الاعتبار الظروف البيئية التي يكون ذلك القانون ساري المفعول فيها.

أما في ما يخص نظام المتابعة فخصوصية هذه الجريمة تتميز من حيث تحديد الاختصاص المحلي ومواعيد تقادم الدعوى العمومية الناشئة عنها، وكذلك مسألة اشتراط الشكوى، وهو الشيء الذي لم يأخذ به المشرع الجزائري، ويرجع في تفسير ذلك إلى أنه بوجه عام ما زال يعتبرها ضمن جرائم القانون العام، وهو السبب الذي جعله لا ينص على إجراءات خاصة بالمتابعة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما الغرض من وجود قانون للإعلام في الجزائر إذا علمنا أن المشرع الجزائري يعتبر جرائم الصحافة من جرائم القانون العام؟

وهذا هو الإشكال الذي عمل بعض المفكرين ورجال القانون في مصر على حله بالتفكير في الاتجاه نحو قانون جنائي للصحافة، وهذا الاتجاه يجد معارضة من طرف الصحافة والصحفيين بصفة خاصة، حيث أصبح هؤلاء في الآونة الأخيرة في الجزائر يطالبون بإلغاء قانون الإعلام الحالي لأنهم يعتبرونه قانون عقوبات بالنسبة لهم.

ونادوا بسنّ قانون جديد لتنظيم المهنة تدرج فيه عقوبات سالبة للحرية على الصحفيين، وقد ذهبوا أبعد من ذلك إذ طالبوا بعدم إدراج العقوبات أصلا انطلاقا من مبدأ الديمقراطية وحرية الرأي والصحافة.

فالصحافة إذن تنادي بالحرية المطلقة في التعبير، إلا أن المؤلف يصر على أن الحرية مهما كان موضوعها ومهما كان هدفها لا تعني بأي شكل من الأشكال الاعتداء على الأشخاص أو الإضرار بهم وبشرفهم ومصالحهم، وتعريض أمن الدولة ومصالحها للخطر، لهذا فقانون الإعلام أو قانون العقوبات لا بد من أن يلعب دورا لا للحد من الحرية ولكن لوضع إطار تسير ضمنه، وعليه يمكن معاقبة كل من يتجاوزها. وخلاصة القول أن هذا الكتاب -وإن كان ظاهره عقابيا ردعيا بدراسة فكرة الجريمة والجزاء- قد تضمن في محتواه جانبا وقائيا، فهو محاولة من المؤلف لرسم الطريق للمحترفين في مجال الصحافة وكل شخص يستعمل هذه الوسيلة بتحديد الإطار القانوني العام لممارسة حق الإعلام في مجال تصعب فيه التفرقة بين ما هو مسموح به وما هو محظور.

> الحكمة من إلزام الصحفيين بالتصريح بهويتهم لدى مدير النشرية هي الكشف عن هويتهم عندما يلزم القانون بذلك، والمدير هو الفاعل الأصلي للجريمة الصحفية بحكم القانون سواء عرف الكاتب أم لا، وقد أكد هذا الاتجاه المشرع المصري، ومرد ذلك إلى أن منزلة المدير تجعله يراقب ويشرف على كل ما يكتب في الجريدة لأن له إمكانية الاطلاع على كل ما ينشر في الجريدة التي له السلطة على إدارتها، كما أكد المشرع الفرنسي على ذلك أيضا.

سيأتيك الغزال".. خليل صويلح مصاب بحنين لمكانه الأول

عرض: اوراق

تتعامل رواياته مع المدينة السورية من موقع مختلف تمام الاختلاف إلا أنه في روايته الجديدة "سيأتيك الغزال" الصادرة مؤخراً عن دار رفوف بدمشق يعود خليل صويلح ليتذكر فيلم حياته اليومية في قرية سوريا فيقول بعد أن سافرت من الجسكة شمال شرق سورية قبل أكثر من ثلاثين عاماً قاطعاً قرابة ألف كيلومتر لأكتب نصي في دمشق عرفت أنني قد تركت نصي ورائي.

هكذا أدرك صاحب "بريد عاجل" أن نصه المؤجل في انتظاره بعد قرابة ثلاثين عاماً على غيابه عن قريته الواقعة جنوب الجزيرة السورية العليا.

ويوضح صويلح في حديث خاص لساننا كان من الصعوبة بمكان أن اقتحم عالم الرواية في بداية الأمر فلقد عرفت وقتها أن علي أن أقدم نصاً روائياً مفارقاً سردياً وفنياً وإلا ما الذي يدعوني لدخول عالم الكتابة الروائية وهذه ربما كانت لحظة وعي فردي قدمت ولادة ناضجة لروايتي الأولى "وراق الحب" أضف إلى ذلك نظرة الروائيين المكرسين في الساحة الثقافية السورية الذين تساءلوا عما يريده ذلك الفتى القادم من كتابة الشعر.

ويبين الأديب السوري الذي يوقع روايته الجديدة "سيأتيك الغزال" الساعة السادسة مساء الثلاثاء القادم في فندق الفردوس بدمشق أن بزوغ جيل جديد من الروائيين القادمين من أماكن قراءة مختلفة للمشهد الاجتماعي والسياسي غير المعادلة فجيلي قرأ أدب أمريكا اللاتينية وروايات ميلان كونديراً وقدم إلى دمشق من الريف البعيد ولهذا أجزم أن هذا الجيل يعرف عن دمشق ما لا يعرفه الآخرون لأنه جيل عايش عن قرب أحياء العاصمة الخلفية وسكانها دالفاً إلى دهات مختلفة في المدينة متسعاً في حواريها ليكون بعد ذلك معرفته الخاصة بالعاصمة كمدينة متعددة المشارب ثقافياً وديموغرافياً فيما ظل الجيل السابق مستلقاً على ما يظنه كنز من أفكار قديمة وبائتة عن المدينة التي عاش فيها مستكيناً لأفكاره الراسخة عنها.

ويضيف صويلح: الحياة اليومية كانت ومازالت شغلي الشاغل في نصي الروائي ولذلك كنت مهموما بكيفية إدخال جماليات قصيدة النثر على الرواية الجديدة والعمل على التفاصيل الصغيرة وكيفية بناء موزاييك متكامل من هذه التفاصيل فرواياتي لا تشتمل على قصص مشوقة بل إنني أصر دائماً على خذلان قارئي حتى النهاية فهو لا يعرف إلى أين يتجه النص والمشهد لدي يلغي المشهد التالي والصورة تلغي الصورة إذ لا وجود لمسار تقليدي في الذي أكتبه لكون حياتنا التي نعيشها ليس فيها هذا المسار التقليدي الصارم أصلاً كالذي يمكن أن تجده في الرواية التقليدية.

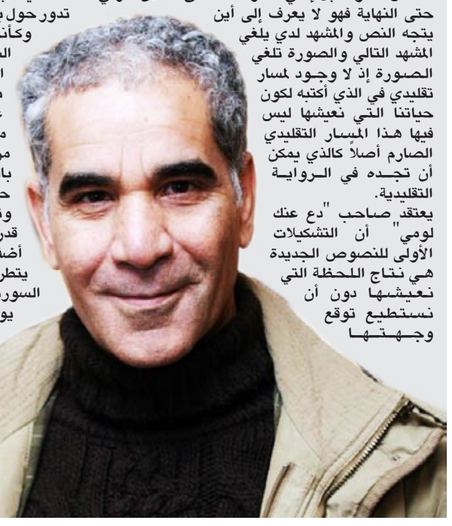

يعتقد صاحب "دع عنك لومي" أن التشكيلات الأولى للنصوص الجديدة هي نتاج اللحظة التي نعيشها دون أن نستطيع توقع وجهتها ومساربها الحياتية الخاطفة فقارئ اليوم يريد ما يشبهه ولذلك أكتب من موقع القارئ لا من موقع التعالي عليه ولهذا كان اشتغالي على المشهدية وعلى الصورة التي استعرتها من عالم قصيدة النثر لا على استطالات الوصف الذي يضني القارئ ويدمر أعصابه أضف إلى استفادتي من لغة الصحافة الثقافية وتكريس الاختزال كمنطق في السرد ذاهباً إلى الموضوع مباشرة ولذلك تعاملت مع الأسماء الحقيقية للأمكنة والشوارع فيما ظلت الرواية التقليدية مصرة على تسمية أماكنها بتسميات خيالية على عكس روايات الجيل السابق التي تزدحم غالباً بأسماء أماكن وهمية ولا صلة لها بالواقع.

ويقدم الكاتب السوري في روايته "سيأتيك الغزال" صورة استعادية لبيئة تكاد مجهولة عند القارئ العربي وذلك بما تحتويه بيئة الجزيرة السورية من ثروات ومحاصيل زراعية متنوعة عدا أن منطقة الجزيرة السورية تعتبر منطقة عريقة تاريخياً ولذلك يقول صويلح عن روايته انها بمثابة رد دين للبيئة التي نشأت فيها فالكثيرون من أصدقائي كانوا يدينوني لعدم اشتغالي على مناخ بدوي خاص وكنت أرد دائما بأنه عندما تتوافر الرغبة الحقيقية لكتابة نص عن الجزيرة السورية سأقوم بكتابته أما أن يتم ذلك بقرار فهذا ما لن أفعله.

ويتابع الروائي السوري إن كتابتي "سيأتيك الغزال" جاءت من شعوري من أن البيئة التي تتحدث عنها الرواية بيئة مجهولة ربما تناول البعض جزءاً منها أما مقترحي فجاء هنا عن الريف العربي بجذوره البدوية نصف الحضرية وأعتقد أن هذا الجانب تم تناوله الآن في الرواية السورية لأول مرة لكن الهاجس الذي دفعني إلى كتابة ذلك كان سؤالي عن العطش التاريخي الذي يعاني منه أبناء تلك البيئة حيث فعلت ذلك وفق منحى سردي متسائلاً عبر حكاية جدتي التي روتها لي عندما كنت طفلاً عن الغزال الذي سيأتيني في المنام ليسقيني ولذلك أختم الرواية بسؤال جدتي هل سيأتي الغزال حقا وكأنني لا أملك يقيناً بأن هذه البيئة ستسترد كيانها بعد أن نقبت آثارياً وحضارياً ما يشعرني حقاً أنني كتبت مصاباً بحنين لمكاني الأول.

وتعتمد رواية سيأتيك الغزال في سردها العاصف على شخصيات بلا ملامح واضحة لكونها شخصيات قدرية لا تدور حول بطل مركزي بل تذهب وتعود لتظهر وتختفي وكأنها أشباح آخذة من حضارات الجزيرة السورية ما يشبه دورة الحياة إذ يحاول الكاتب أن يعرض في نصه الأحدث لرؤية نابعة من البحث والتأمل في أماكن وأسماء عشائر عربية سكنت محافظة الحسكة كنوع من رد الجميل معتمدةً على وقائع أكثر من اعتمادها على التخيل عبر علاقة الناس بالحيوانات في الجزيرة السورية كصيغة حضارية خاصة جداً.

وتتصف شخصيات "سيأتيك الغزال" بأنها قدرية تتبع للمثيولوجيا أكثر من تبعيتها للواقع أضف إلى أن الرواية تطرقت إلى موضوع لم يتطرق له أحد حتى الآن هو أن منطقة الجزيرة السورية تقوم على ألف تل أثري مكتشف حتى يومنا هذا وهناك مواقع أثرية كثيرة مجهولة كما يركز النص على امتلاك نظرة شاملة لمكان ينبغي أن تكون كل العناصر موجودة في سياقها الحكائي الشفوي لتراث الجزيرة السورية الذي ينهل الكاتب من معينه الغني في سرد روايته عن مكان الطفولة الأولى.

كتاب ألفريد وإميلي لدوريس لسنغ

بين السيرة الذاتية والرواية

ترجمة :نجاح الجبيلي

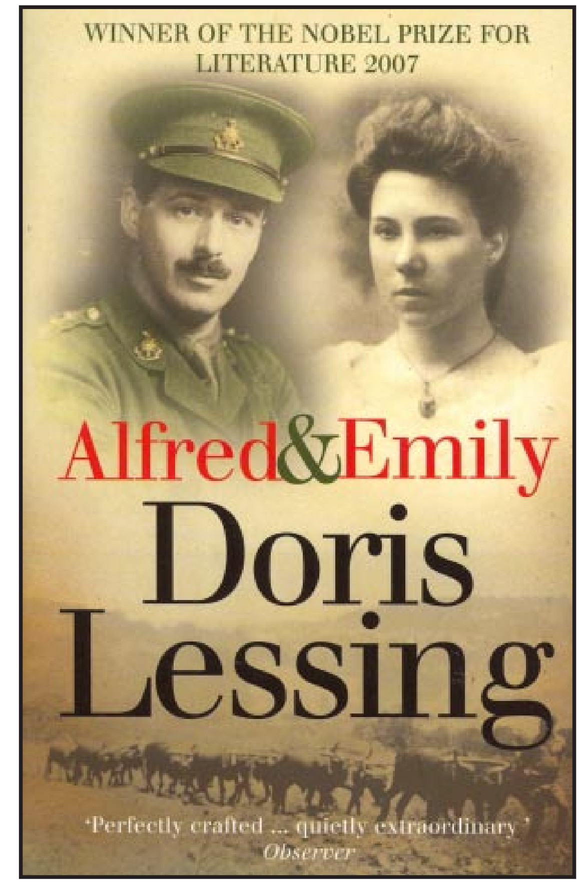

حين كانت دوريس لسنغ مراهقة نظرت لأبويها وهما يجلسان على الشرفة في حقلهم الأفريقي القاسي – الجندي البريطاني الذي فقد ساقه في الحرب العالمية الأولى والممرضة التي اعتنت به في مستشفى لندن اللذان يرتبطان الآن بزواج تصاحبه خيبة أمل كبيرة في مستعمرة روديسيا- ورأت الأرواح التي أتلفتها الحرب وكان يعني نهاية الحرب نفسها. وكما كتبت في كتاب أو مقالة "تحت جلدي وهو الجزء الأول الثاقب من سيرتها الذاتية : لسنوات ظل يبرق في ذهني مثل مشاهد من فيلم، ماذا سيحصل لهم لو لم تنشب تلك الحرب .

وتصورت أمها تدير بكفاءة مستشفى بدلاً من الالتصاق المرضي بأطفالها وأبيها قوياً نشطاً بدلاً من أن يكون على وشك العجر بسبب السكري.

ومثل العديد من المراهقات أقسمت "لسنغ ألا تكون أبداً" مثل أولئك الناس المقززين ، نصف المجنونين، والديها . وخلافاً لأكثرهم ، أصبحت كاتبة لامعة وفازت بجائزة نوبل للآداب. وفي كتاب "ألفريد وإميلي تقدمهما هدية أعظم ما تستطيع : الحياة التي ربما كانت لهما.

الجزء الأول من الكتاب عبارة عن رواية قصيرة (نوفلا) عن "الفريد وإميلي اللذين أحرزا الغنى والازدهار – ليس سوية، نعلم ذلك حالاً – في بريطانيا المزدهرة الآمنة. ويقدم النصف الثاني الجزء غير الروائي، الذي يستكشف تلك الشخصيات التعسة وكأن ابنتهما تعرفها بالفعل ولأن ابنتهما هي دوريس لسنغ فهي تعيد صنعهما بكل ذلك الغضب والوضوح غير العاطفي لأفضل أعمالها، ومع ذلك فهي تضيف ميزات غير مرتبطة في الغالب بها: الكرم والرحمة.

سواء أحرزت نوبل أم لا فإن بعض الناس لا يزالون يعتقدون بأن لسنغ هي إما معجزة الكتاب الواحد ومعروفة بروايتها الكلاسيكية التي تدافع عن حقوق المرأة المؤلفة عام ١٩٦٢ "المذكرات الذهبية أو نسخة أدبية لسيدة متسكعة مجنونة تكتب الكتب عن قططها ورواياتها تدور في مجرات أخرى. لكن كتاب "المذكرات الذهبية أيضا يعرض مشاهداته الاجتماعية والنفسية اللاذعة، وقد كانت لسنغ دائماً واقعية من الدرجة الأولى، ولن تتعدى الكثير من ذلك حين ترسم حياتها في أفريقيا. (سنواتها الخمس الأولى قضتها في بلاد فارس، حين كان والدها يعمل في مصرف؛ وغادرت روديسيا إلى إنكلترا حين كانت في الثلاثين).

قد يروم كتاب "الفريد وإميلي جزئياً الانجاز لكنه يعتمد على قوى لسنغ كواقعية لاذعة.

تدور لسنغ حول الموضوع لعدة عقود. في مقالتها "أبي التي ظهرت عام ١٩٦٣ و "تحت جلدي عام ١٩٩٤ من هذه الأعمال وأعمال أخرى نعرف بأنها على الرغم من ولادتها بعد الحرب العالمية الأولى إلا أن خبرتها عن طريق والديها كونها سحابة سوداء تحوم حول الطفولة. وعقيدتها العاطفية بأن تلك الحرب حطمتهما قد تناسب مذهبها الإيحائي الاجتماعي طويل الأجل في الأقل شبابها في أفريقيا الانفصالية.

يظهر المشروع الكامل لكتاب ألفريد وإميلي بأكمله أكثر مما يظهر في كل جزء من الكتاب وحده. يمكن أن تكون الرواية القصيرة حرة غير متحفظة أما المادة البيوغرافية فهي أكثر إحكاماً فيمن مقالة "تحت جلدي . لكن من العجيب مراقبة لسنغ وعمرها ١٨ سنة وهي ما زالت تتشبث بصورة ضارية معنى حياة والديها المشتتة. وبالطبع فإنها حين تصفهما فإنها تصف نفسها وفي هذا الكتاب تستمر بهوسها بالحقائق البديلة. (الأقرب إلى وطنها تجد البطلة روايتها "مذكرات من نجا – ١٩٧٤ عالماً موازياً خلف جدران غرفة معيشتها).

تبدأ القصة البديلة التي تحكيها لسنغ هنا بـ ألفريد تيلر وإميلي مكفيغ يلتقيان في مباراة للكريكيت ولم يبلغ العشرين بعد. واللقاء مجرد خيال لكن من الممكن تصديقه.

وفي أفضل صورها تحتوي الرواية القصيرة على تذربق غني وهاردياً (نسبة إلى توماس هاردي-م) للحياة الريفية والتي تناسب الفرد تماماً بصورة مثالية.

وبعد أن تنسج بالتفصيل تاريخها الفعلي تسمح لسنغ لأبيها كي يقاوم ضغط أمها للالتحاق بالمصرف؛ وبدلاً من ذلك يصبح فلاحاً. ولسنغ " تحصل على ولها بصورة غريزية وهو الشخصية الأبسط الذي تمنحه حياة طويلة سعيدة.

كانت علاقتها مع أمها المستبدة دائماً مشحونة وتتذكر قائلة: كنت أكره أمي . وهو ليس خطأ مفاجئاً في قانون لسنغ ، وحتى الآن لم تتخلص تماماً من الغيظ منها. نشأت وهي تسمع بأن أمها انكسر قلبها حين تعرض طبيب كانت تحبه إلى حادثة غرق. وهي تدع إميلي الخيالية تصبح زوجته لكنه زواج بارد. وتبدو لسنغ قائلة بأن الشخصية وبالأخص شخصية أمها الرهيبة لا تتغير.

ومع ذلك فهي توسّع من شفقتها على أمها بترديد أحد أشد ثيماتها صدقاً وثباتاً: إميلي الممرضة الكفوءة تشعر بأنها فقدت كل حسّ بذاتها في هذا الزواج التقليدي. لهذا تقتل لسنغ الزوج بصورة رحيمة. وكأرملة تأتي إميلي الأخرى حياتها الخاصة، وتساعد الأطفال الفقراء وتؤسس سلسلة من مدارس منوشوي.

تمتلئ الرواية القصيرة بالسكتشات التاريخية دون " الحرب العظمى . لا تكون بريطانيا لطيفة فقط، بل هناك نزاعات حول العالم، وفي إحدى أقل لمسات لسنغ إلهاماً تعبّر تسريحات النساء عن دعم أقل للأطراف المتنافسة في حرب تركية صربية (عقصة الشعر للأتراك والعقصة الملصقة للصرب) لكن لسنغ لا تعني أحداً كي يبقى في هذا العالم البديل طويلاً. أحياناً... حول القضية الفعلية التالية : وفي الحياة انفجرت الزائدة الدودية لأبي قبل "معركة السوم وأنقذته من أن يقتل مع بقية رفاقه .

في النصف الثاني البليغ من الكتاب تستكشف كيف أن الحرب تدمر بصورة دائمة حتى الناجين منها. كان أب لسنغ يزوره في الحلم رفاقه الميتون ويخبرونه بصورة لامتناهية بالقصص حول "الخنادق والدبابات والقذائف المضيئة كطريقة ، كما تعتقد ابنته "ليحرر نفسه من الفظائع . وصلت أمها المتمكنة جداً في لندن وفراسته الاجتماعية في بلاد فارس إلى أفريقيا وأخذتها إلى فراشها لبعض الوقت، ودعت صغارها إلى جنبها وتنشج قائلة: ماما المسكينة .

تكتب لسنغ بأن " لا شيء يتناسب في تحول أمها الحزين، وقد جعلته متناسباً عن طريق تأنيب الحرب. لقد قامت إميلي بمعالجة العديد من الجنود الجرحى وتحاول أن تخبر ابنتها قائلة: ماتوا كما ترين غالباً لم تستطع أن تفعل لهم شيئاً .

ترفض ابنتها أن تصغي وبعد أن تنظر للخلف تسترجع تختم قائلة: محن أمي ي الحرب كانت أتلفتها من الداخل تماماً كما التهمت الخنادق أبي .

قد يكون ذلك صحيحاً جزئياً لكن الكثير منه أيضاً متقن. لشيء واحد فهو يقلل عناصر من حياة أميلي وصفتها لسنغ بنفسها. بعض من أشد مشاهدها إثارة هنا وفي مقالة "تحت جلدي هي ملابس العشاء الجميلة يوماً" الجوارب الفضية، الأحذية المطرزة بالحرير التي حزتها إميلي بصورة خاطئة.. لحياتها الجديدة البراقة في أفريقيا. إنه لشيء مؤثر أن نرى لسنغ وهي تحاول بكل جهد أن تفهم تعاسة أمها الكريهة. وإنه جزء من الصراحة القاسية التي تتوقعها منها من أنها لا تستطيع تماماً أن تتخلص من غضبها.

قد يكون كتاب "ألفريد وأميلي رغم كل شيء، طريقة للسنغ لمنح صيغة فنية لنقمتها. تقول عن رد فعلها المتطاير بسرعة للشفقة الذاتية لأمها: إلى حد هذا اليوم استطيع أن أشعر بالاساءة التي شعرت بها حينئذ وتقول عن قصص أبيها عن الحرب: كنا مشتركين في حماسة للفهم وتعتقد بأن هذا "الغضب " على الخنادق استولى عيّ ولم في مذكرات من نجا التي دعتها لسنغ " محاولة في كتابة السيرة الذاتية البطلة هي فتاة اسمها "إميلي وانها طفولة إميلي التي تراها في عالم شبيه بالحلم وراء جرارها. وهذه الطفولة تلمّح إلى "إميلي مكويغ لكنها أقرب إلى طفولة دوريس لسنغ.

شخصية أم صارمة غير محبوبة وأب جندي سيئ الطالع. في كرم الروح وغضبه المصاغ المحتوى فإن كتاب "الفريد وإميلي هو أيضاً إضافة استثنائية غير تقليدية إلى السيرة الذاتية للسنغ. يقال إنها كتبت كتابها الأخير. حسن، لقد قالت الكثير من الأمور الغبية ولكن لا توجد النغمة الأخف للوداع أو الختام هنا. وهذا هو السبب في بقائها نشطة للغاية حتى في شيخوختها فهي تبدو في ضرواتها وعاطفتها مثل فتاة.

عن صحيفة نيويورك تايمز

عن كتاب حصة الغريب لكاظم جهاد

الترجمة تواجه مستحيلاتها

عرض: آدم فتحي

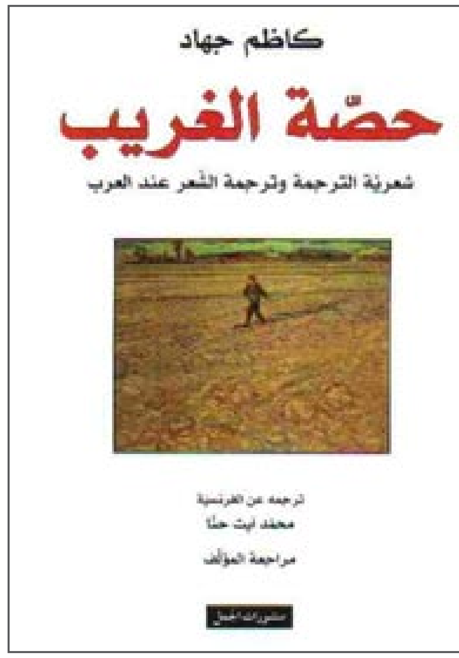

استطاع الشاعر والناقد كاظم جهاد أن يصنع الحدث مرّات عديدة في مجال الترجمة أيضا، ليس أقلّها عند ترجمته آثار رامبو الشعريّة بعنفوان غير مسبوق، ممّا أجاز التطلّع إلى عمل نظريّ مساوٍ للممارسة. من ثمّ كان من الطبيعيّ أن ينتظرَ القرّاءُ دراسته عن الترجمة عند صدورها بالفرنسيّة سنة ٢٠٠٧ عن «آكت سود»، وأن يحتفوا بنسختها العربيّة عند صدورها أخيرًا بعنوان «حصّة الغريب، شعريّة الترجمة وترجمة الشعر عند العرب» (منشورات الجمل- ٢٠١١).

استلهم كاظم جهاد عنوان كتابه من مصدرين: هولدرلين الذي زرع عبارة «امتحان الغريب» في سياق الشعر، وأنطوان برمان الذي أعاد تأثيل هذه العبارة في سياق الترجمة. ولعلّ محوريّة العنوان تبدو واضحة منذ قول الكاتب في المقدّمة: «إنّ تعبير حصّة الغريب، في عنوان كتابي، إنّما...يشير إلى مُنقلَب الآخر، (أي المحلّ الخاصّ الذي يصدر هوَ عنه)...وينبغي عليّ أن أترجمه دون تحريف أو تدجين أو إفقار».(ص ١٦)

الغربة محنة. والنصُّ القادم من لغة إلى أخرى نصّ غريبٌ بالضرورة. من ثمّ تكون حصّة الغريب كناية عن حقّه. ومن حقّه علينا أن نخفّف عنه المحنة بأن نترجمه بما يكفي من «الحَرْفيّة» التي لا تعني «الترجمة كلمة بكلمة»، بل تعني احترام بنية النصّ والسعي إلى إعادة إنتاج انتظامات شكله. يقول الكاتب: «مع هذه الحرفيّة لا تزداد اللغة الهدف ومعها حساسيّةُ القارئ إلاّ انتعاشًا، مدفوعةً نحو مهارات وقُدرات للقول كامنة فيها ويجيء فعْلُ الترجمة لكي يحيّنها أو يفعّلها» (ص ٢٣). هذه «الحَرْفيّة الجديدة» هي التي يدور عليها حجاجُ القسم الأوّل من الكتاب، المُخصّص لفلسفة الترجمة وشعريّتها كما استخلصهما الباحث بعد أن تتبّع جهود أعلام الفكر والترجمة الغربيّين تنظيرًا وممارسةً، خاصّة في مجال ترجمة الشعر، مسائلاً كتاباتهم مواجهًا بعضها ببعض: هايدغر، هولدرلين، ريكور، دريدا، بنيامين، كلوسوفسكي، ميشونيك، برمان، كازانوفا، ستينر، تشومسكي، والقائمة أطولُ بكثير.

شعريّة الترجمة (أو نظريّتها أو تحليليّتها) تعني لدى كاظم جهاد «رؤيـة للترجمة لا ترى فيها عمليّة ممكنة دائمًا، وإنما استحالة قابلة للزحزحة، وممنوعًا ينبغي مناقشتُه». (ص٢٢) وتتأسّس هذه الشعريّة، وفق ما أثبته الباحث في القسم الأوّل من كتابه، على «التطلّب» وعلى مواجهة موانع الترجمة ومعوّقاتها وحدودها ومستحيلاتها، بلا هوادة، بداية من المعجم والأسلوب والإيقاع والحوافّ الأنثروبولوجيّة والنفسيّة والإيديولوجيّة واللسانيّة، وصولاً إلى عتبات النصّ وهوامشه. وهو تطلُّبٌ يتناغم مع «نظريّة أخلاقيّة عامّة للترجمة»، ظهرت ملامحها لدى الرومنطيقيّين الألمان. ومن أهداف هذه النظريّة الأخلاقيّة «التنبيه على أشكال التدجين والتطبيع التي ينبغي أن تتجنّبها الترجمة، ورسم حدود فاصلة بين حريّة المترجم وسيادة النصّ» (ص١٤٣).

القسم الثاني يتابعُ مراحل حركة الترجمة التي عرفتها الثقافة العربيّة، محلّلاً أسباب قلّة ترجمة الشعر في العصر الوسيط بالمقارنة مع تزايد ترجمة الآثار الشعريّة في العصر الحديث. وفيه حوار عميق مع الجاحظ والتوحيديّ والجرجانيّ وابن إسحق وغيرهم، ثمّ مع روّاد النهضة وأعلام العصر الحديث مثل الشدياق والكرمليّ وجورجي زيدان ويعقوب صرّوف، دون أن ننسى الطهطاوي والمنفلوطي وطه حسين، وصولاً إلى وديع البستانيّ وجهود جماعة أبولو ومجلّة شعر وغيرهم. وهي جهود «كان لها فضلُ إطلاع القارئ العربيّ على التطوّر الذي شهده الشعر في الثقافات الأجنبيّة، بَيْدَ أنّ ما يمكن أن يُوصَف منها بالروائع يظلّ متّسمًا بالندرة» (ص٢١٨).

أمّا القسم الثالث فهو مُخصّص لدراسة عدد من الترجمات العربيّة للأشعار الأوروبيّة دراسةً مقارنة ونقديّة تفيد من الجهاز النظريّ السابق لتشخيص مأزق الترجمة ومضايقها وأخطائها واقتراح حلول من شأنها «أن توسّع مجال الإمكان أمام الفعل الترجميّ» عن طريق الإفادة من تجارب الترجمة التي مارسها شعراء وكتّاب نذكر من بينهم عبد الرحمن بدوي وسعدي يوسف وخليل الخوري ومحسن بن حميدة وجبرا إبراهيم جبرا وفؤاد رفقة وأدونيس وغيرهم.

وإذ يُعمل الباحث مبضعه النقديّ في هذه التجاربَ بصرامة، فإنّه لا يقوم بذلك هجومًا عليها بقدر ما يقوم به دفاعًا عن «حصّة الغريب»، استئناسًا بقول أنطوان برمان: «أسمّي ترجمةً سيّئة كلّ ترجمة تعمل، بتعلّة قابليّة العبارة أو عدم قابليّتها للنقل، على نفيَ غرابة العمل الغريب نَفيًا مُطلقًا» (ص١٢٢).

تعود بي الفقرة السابقة إلى عبارة «نصيب الملائكة» التي ذكّرني بها عنوان الكتاب في بداية هذه الورقة. ولعلّ الصلة بين العبارتين قد اتّضحت بعض الشيء من خلال وضع اليد على فكرة محوريّة تنتظم أطروحة الكاتبِ الرئيسيّة، وتتمثّل في كون الترجمة زحزحةً للمستحيل، محاولةً لا مناص منها للسيطرة على ما لا سيطرة عليه، بدونها تصبح الترجمة خيانةً بالمعنى المبتذل للكلمة، لا علاقة لها بالخيانة بالمعنى الإبداعيّ. ولعلّ ما يقوله الربط بين العبارتين في سياق هذه الأطروحة الخصبة بما تطرحه من أسئلة والمخصبة بما تفتحه من آفاق: إنّ الغربة هي الأصل، وإنّ الغريب ليس المُترجَم وحده (بفتح الجيم)، بل هو المُترجمُ أيضا (بكسْرها).

ثمّة شيء يتبخّر من النصّ المُترجَم وثمّة شيء يتبخّر من لغة الترجمة، تمامًا كما يتبخّر «نصيب الملائكة»، وعند نقطة اللقاء يحدث «السحر». فإذا وفاءُ الترجمة و«حَرْفيّتُها» في تلك المنزلة بين المنزلتين، بين ما يَتبقّى وما يتبخّر. أو لأقل: بين ما يتبقّى بفضل ما يتبخّر.

الطريف هنا أنّ نجاح الترجمة مرتبط بمقدار تخليص النصّ الغريب من غربته دون تجريده منها تمامًا، وبمقدار تنازُل لغة الاستقبال عن جزء من هويّتها دون التفريط فيها تمامًا. هكذا يتصرّف النصّ الغريب كأنّه «مُقيم» فعلاً، ويتصرّف النصّ المُقيمُ كأنّه «وافدٌ» بعض الشيء، دون أن يفقد أيٌّ منهما غرابته وغُربته. وكم هي أساسيّةٌ أداة التشبيه هنا. وكم تكتسب عبارة «كأنّه» من أهميّة في هذا السياق.

هذا الجزءُ المتبخّر هو الذي يكتسب بفضله «المنتجُ» هويّته الحقيقيّة، نصًّا كان أم مخزونًا من الكونياك. وإذا كان هذا التبخّر يُنتِج في مجال المشروبات الروحيّة نوعًا من الفطريّات المجهريّة التي تغطّي الجدران وتصبغ حجارتها بالسّواد (وهو ما كان يرشد السلطات في القديم إلى محلاّت الترقيد السريّة)، فإنّه يُنتِج في مجال الترجمة شيئًا شبيها بذلك، يتمثّل في تلك الآثار التي تنشأ عن حوار الأنا مع الآخر الغريب. ذلك الحوار الذي يقول كاظم جهاد إنّه «يُعْلِمُني عن نفسي مثلما يُعلِمُني عنه» (ص١٦).

بقيت كلمةٌ لابدّ منها في شأن عبور الكتاب إلى لغة الضاد. فقد صدرت نسخته العربيّة بإمضاء أستاذ الفلسفة والباحث المغربيّ محمد آيت حنّا، مع تولّي المؤلّف المراجعة. وليس من شكّ في أنّ عرض كتاب مُترجَم يُعنى بالترجمة يتطلّبُ بالضرورةً انتباهًا إلى عمل المُترجم. وأعترف بأنّي ما أن علمتُ بصدور النسخة العربيّة حتى طلبتُها وكلّي فضول إلى معرفة نتيجة الرهان.

فليس من رهانٍ أكبر من ترجمة عملٍ بمثل هذه الكثافة لمؤلّف يمارس الترجمة ويحذق اللغتين. وأزعمُ بعد قراءة الكتاب أنّ المترجم كسبَ الرهان حقّا وأحسن ضيافة عمل كاظم جهاد في عربيّة دقيقة سلسة لا عداوة فيها بين الطاقة التخييليّة والشحنة الفكريّة ولا خصومة فيها بين خصوبة الإيحاء وصرامة الأداء.

لذلك لا أريد أن أختم هذا العرض السريع دون تحيّة المترجم. علمًا بأنّ حضور المؤلّفِ واستعداده للمساعدة أو المراجعة ليس نعمة بالضرورة، خاصّةً إذا كان العملُ لكاتبٍ مُترجم شديد القسوة على الآخرين قسوتَهُ على نَفسه، ترقى الترجمة لديه إلى مستوى الإبداع والتحقيق في الوقت نفسه، فإذا هو ينحت ويوقّع ويمحّص ويُطارد المعادلات والنظائر ولا يطمئنّ إلى خيار إلاّ أعادَ فيه النظر وامتحنه إلى ما لا نهايةٍ، في سبيل ذلك المستحيل الذي لا مناص من طلبه وكأنّه المُمكن. وهل الترجمة غير ذلك؟

ليس من سبيل إلى إيفاء العمل حقَّهُ في مثل هذه العجالة. ومُجمَلُ القول إنّ «حصّة الغريب» مؤلَّف موسوعيّ بكلّ ما تعنيه العبارة من شموليّة وتخصيص وبكلّ ما تتطلّبه المؤلّفات الحقيقيّة من اقتراحات فكريّة وحدوس طريفة وابتكارات شخصيّة مبنيّة على البرهنة والحجاج. وهو إلى ذلك كتابٌ «مرجعٌ» شبيهٌ بأوركسترا تتناغم فيها العلوم والنصوص والأزمنة، لم يتحسّب مؤلّفُه من تأليفه برؤية المغامر المبدع ولم يدّخر جهدًا في تدقيقه بصرامة الباحثِ العالم، فإذا نحنُ أمام أثر تجتمع فيه موهبةُ الشاعر وأريحيّة المترجمِ وفطنةُ المفكّر وثقافةُ المتخصّص الذي يطرح سؤال الترجمة في ضوء كلِّ ما تطرحه العلوم الإنسانيّة من أسئلةٍ، بداية من علم الإناسة وعلم النفس وصولاً إلى تاريخ السياسة والأدب.

عن كتاب العراق

كنوز المدى

النشوء والخلق في النصوص المندائية

تأليف: كورت رودولف
ترجمة: د. صبيح مدلول السهيري
مراجعة: باسم عبد الحميد حمودي

قال د .صبيح السهيري في مقدمة هذا الكتاب: ((أن أهمية كتاب رودولف أنه من أحدث الدراسات في حقل الدراسات في حقل فلسفة عقيدة الخلق أذ أستطاع أن يستقرئ اراء معظم ما كتب في هذا الحقل أضافة ألى أنه قام بدراسة جميع النصوص المندائية بلغتها الاصلية)) ويتميز هذا الكتاب أنه كان واحدامن الكتب المهمة في بابه .

و العمل الذي أنجزه د. السهيري كان مهما ايضا لانه لم يقتصر على الترجمة النصّية بل قام بشرح ما غمض في الكتاب من معلومات ومصطلحات وتعرض الى المفاهيم الاساسية للعقيدة المندائية فقام بتحليلها في الهوامش واستعان بخبرة عدد من الاساتذة المتخصصين ساعدوه على الشرح والتحليل ومنهم د. خالد اسماعيل علي وهيثم مهدي سعيدود. يوسف قوزي ود. أنيس زهرون واستعان بتراجم المرحوم نعيم بدوي المخطوطة ونصوص (كتاب يحيى) ليصنع من كل هذا ذلك الكتاب الذي جاء محققا لرغبات الكثير من المهتمين بالدراسات اللغوية والدينية والميثولوجية .

وكان تعاون هذه المجموعة من العلماء مع السهيري نموذجا يقتدى به لتحقيق قضية فكرية وفقهية طال الجدل فيها لتتولى التأكيد على عراقية الديانة المندائية وعلى عراقتها وعلى كونها ديانة موحدة تقر بالوهية الله –عز وجل – وتختلف عن بقية الاديان السماوية بأعتبارها تعتمد على التجارب الدينية العراقية الاولى بداية ثم تطورت الى ديانة موحدة مستقلة بعد ذلك . ولا نريد هنا الخوض في تفاصيل الديانة المندائية وتطورها فذلك امر يتعلق بمتفقه فيها ولكننا نجد اهتمام المستشرقين بهذه الديانة وبحوثهم الاساسية قيها امثال بيترمان ونولدكه وبيدرسون ودراور وليد زبارسكي وسواهم قبل بدء الدراسات التي قام بها المؤلفون المسلمون مثل رشدي عليان وعبد الرزاق الحسني وزهيركاظم عبود و فاروق الدملوجي والمندائيين امثال نعيم بدوي وغضبان الرومي وناجية المراني وعزيزوسواهما ، ولابد من الاشادة بدور يدوي والرومي في ترجمة كتاب دراور الى العربية

اكتشف ليف زبارسكي في هور أم البقر(الذي يقع جنوب منطقة العكر في محافظة العمارة) وفي أيشان (أبو شذر) الواح الرصاص المندائية وقام بحل رموزها وكان من الضروري على د. السهيري الذي اورد هذه المعلومة أن يقوم بالتعريف بهذه الالواح وأهميتهارغم انه يشير الى ان ايشان ابو شذركان مدينة سومرية قديمة تعود الى مملكة ميسان التي كانت متزامنة تاريخيا مع مملكة سومر وهذه المملكة لا تمت بصلة الى مملكة ميسان في العهود الاسلامية والى الدولة السامانية فيما بعد

ولابد من الاشارة هنا الى الصورةا لبلاغية الجميلة للتعبير المندائي واقترابه الكبير من التعبير الاسلامي عن (رب العزة) بالقول في النص الواردص١٣/١٤ :

الحمد لك – مسبّح ومبارك – ذو النور العظيم الذي لايخبو- الرؤوف الغفور- الحكيم العارف البصير- الجبار المسيطر- الذي لا يرى ولايحد- لاشريك لك في تاجك – يا الله العظيم السامي- الرحمن – لا اب لك ولا مولود كائن قبلك

ولابد أيضا من القول بوجود مئات من الكلمات المندائية التي تتشابه مع الكلمات العربية مؤكدين على أن المندائية هي لغة السريان الاقدم ومن هذه الكلمات :

روها = الروح
شوتا= الصوت
بر ابي=خارجي
نبطة=نطفة
قدمايا = الحياة الاولى
تنيابا = الحياة الثانية
اريابا= الحياة الرابعة

لقد تمت منذ زمن ترجمة الكتب المندائية المقدسة الى العربية وذلك يستدعي بذل جهد اوسع في حقل الدراسات المندائية والوقوف على كشوف جديدة فيها ليس كتاب رودولف آخرها

كتاب يبحث في مشكلة المهاجرين بالدنمارك

صدر للكاتب والصحفي الدنماركي صاحب الأصول العربية طارق عمر كتاب بعنوان "MUHAMEDANEREN" يستعرض فيه مشاكل المهاجرين الجدد في الدنمارك والذين يحملون خلفيات عرقية ودينية وثقافية متباينة.

ووفقاً لصحيفة "الوطن" السعودية ينتمي مؤلف الكتاب لأم سورية وأب فلسطيني، وهو أحد الصحفيين العرب من الجيل الثاني الذي استطاع يتبوأ مكانة مهمة في واحدة من أشهر الصحف وهي صحيفة "بوليتكن" ، حيث أشتهر بانتقاداته الساخرة للمهاجرين وبعض الأئمة المسلمين وجرأته والتي قال عنها "لا أخشى على نفسي من أحد فأنا أكتب ما أرى وأسمع وأصور واقعا أليما للمهاجرين العرب والمسلمين".

ويشتمل كتاب طارق عمر على ١٩ قصة قصيرة جمعها خلال سنة كاملة من عمله بصحيفة بوليتكن، ومنها قصة طفل يتعرض للسخرية من زملائه في المدرسة بسبب أصوله العربية، وقصة أخرى تتحدث عن شاب عراقي مهاجر عبقري في الرياضيات ولا يرى غير الأرقام أمامه وعندما طلب منه في الجامعة إعداد بحث عن المهاجرين كتب وبشكل لا شعوري البحث بلغة الأرقام ولم يعجب الأساتذة واعتبر بحثه دلالة على أنه غير مندمج في المجتمع الدنماركي وفصل من الجامعة والعمل .

ويقول مؤلف الكتاب أنه "أراد أن يجد مكانا للمهاجرين الجدد في المجتمع الذي يقف ضد وجودهم وإدماجهم على خلفيات دينية وعرقية ولم يقصد السخرية من المهاجرين ولكنه قدم القصص على أنها واقع بطريقة مختلفة عن أسلافه الصحفيين وأراد أن يثبت للدنماركيين أن الدين مرتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بهؤلاء المهاجرين ولا يمكن نزعه منهم فهو ثقافة وتاريخ"

وينتقد المؤلف بكتابه الأئمة قائلاً "أردت أن أثير قضية الأئمة وما يفعلون من خدمات اجتماعية ودينية للمسلمين ولكن قد يستغلون قوتهم وسلطتهم في إفشال مشروع الاندماج في المجتمع وهناك بعض الأئمة ليسوا بصالحين حتى أستمع إليهم وأعتبر أن إيماني ينبع من ذاتي ولا يأتي عن طريق الإمام" .

حـــروب الـنـفـط

إن أحد المقومات الأساسية للثورة الصناعية الحديثة التي بدأت في بريطانيا في الربع الأخير من القرن الثامن عشر هي الطاقة. ومع تزايد استخدام الآلة في مجالات الإنتاج المختلفة من زراعية وصناعية وخدمية تزايد الاعتماد على الطاقة في حياة الإنسان بصورة عامة. وبدخول الدول الصناعية المتقدمة في المرحلة التي سماها المؤرخ الاقتصادي و. و. روستو (Walt Whitman Rostow) مرحلة الاستهلاك الكبير الواسع، ازدادت الحاجة إلى الطاقة، وارتفع استهلاكها ارتفاعا كبيرا. وحيث إن تواجد الطاقة الرخيصة غير متوزع بالتساوي على مختلف مناطق العالم -شأنها شأن معظم الأشياء والقدرات- تسعى الدول المتقدمة إلى تأمين مصادر حصولها على الطاقة بجميع السبل. وتزداد أهمية ذلك في ضوء الطبيعة الناضبة لأحد أهم مصادر الطاقة النظيفة نسبيا البترول والغاز. ويتضح ذلك جليا من النظر إلى إحدى الدول من كبريات مستهلكي الطاقة - وهي الولايات المتحدة الأمريكية- التي تستورد كميات كبيرة من البترول، ليس لعدم تواجد احتياطاتها فيها، ولكن بغرض إطالة عمره من المصادر الداخلية بدلا من الاستيراد.

السيطرة على الموارد

الغرب والعرب من التاريخ إلى الجغرافيا
البترول والدولار: الاقتصاد النقدي والاقتصاد العيني
إسرائيل والمحافظون الجدد وإشعال الحرب
مستقبل البترول: رهانات وإكراهات
السيطرة على الموارد النفطية

من هنا نرى أهمية كتاب «الحروب الصليبية على البترول» لمؤلفه عبد الله يحيى زلوم، الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية الذي تعلم الاقتصاد بجامعة هارفارد الشهيرة. ويقع الكتاب في نحو ٢١٠ صفحات، ويشتمل على ثمانية فصول. إلى جانب المقدمة والفهرس والهوامش.

وفي المقدمة يعرض الكاتب لخلفيات غاية في الأهمية تكمن وراء تفسير الحروب الصليبية على البترول -ومن بينها ترسيخ فكرة قيام إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي على أساس هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم وجعله منقبلا- إن لم يكن متبعا لطريقة الحياة الأمريكية. كما أيد المحافظون الجدد، الذين يبدهم مقاليد الحكم حاليا (عند صدور الكتاب) في الولايات المتحدة، شرعية الحروب الاستباقية لحماية المصالح الأمريكية بعد أن كان هذا يعد من «التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وأنها وسيلة عدوانية لتسوية النزاعات بين الدول»، كما ورد على لسان المدعي العام الأمريكي في محاكمات نورينبرج في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

وقد عبّر الرئيس الأمريكي فرانكلين د. روزفلت عن هذا في خطاب شهير له في أكتوبر ١٩٣٧ بقوله «إن الحروب الاستباقية لأمانيا النازية تخلق تدخلا غير مشروع في الشؤون الداخلية للدول، وتعلن عن ولادة عصر من الإرهاب وعدم الشرعية». وفي ضوء الاعتقاد بأن إنتاج البترول قد بلغ عدم وجود بديل قريب له، يصبح شريان حياة الرأسمالية مهددا إن لم تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية. ومن ثم بدأت الحرب من أجل السيطرة على هذا «المورد الناضب» وذلك بعد التستر وراء مفاهيم أخرى، ومنها ما أسموه «الحرب ضد الإرهاب» الذي لم يثبت وجوده في حالات عدة، كما سيرد ذكره فيما بعد... ومما زاد الطين بلّه، المبدأ الذي نادى به جورج بوش الذي يقول بأن «من ليس معنا فهو ضدنا». ويرى المؤلف أن بداية النهاية تكمن في كلمتين هما «عصر ازدهار» صناعة البترول منذ بدايته إلى الوقت الحالي، والسبب في ذلك هو أن إنتاج البترول كان يسبق الطلب عليه بخطوة واحدة على الأقل. ولكن هذه الحال تتبدل وتتغير الآن، ذلك أن الفجوة بين الإنتاج والطلب آخذة في الضيق، فهي اليوم أضيق منها بالأمس، وبعد غد أضيق منها بغد، وقريبا جدا سوف تردم الفجوة كلية، وفي الوقت نفسه لن تستطيع بدائل البترول سد فائض الطلب. ولهذا يتوقع أن يسيطر البترول على السياسة الدولية بطريقة لم تحدث من قبل.

ويرجع السبب في ذلك إلى نمو كثير من الدول، وخاصة الدول النامية كبيرة الحجم بمعايير المساحة والسكان (الصين، والبرازيل، والهند) ومن ثم يتزايد طلبها على الطاقة في الوقت الذي يتناقص المعروض منه.

ومن ناحية أخرى، فإن الشرق الأوسط يمتلك أكبر احتياطيات البترول وأقلها تكلفة لاستخراجه، وهي منطقة يمكن أن تؤثر في اتجاه سياسات أمريكا ومن ثم يجب السيطرة عليها. وكذلك فإن أهم وأكبر شركات البترول هي أكسون-موبيل، وشل، وبريتش بتروليم، وشتيفرون تكساس، وتوتال فينا ألف- وأكبر الدول التي بها بترول هي دول إسلامية : العراق، وإيران، والكويت، والسعودية، والإمارات، ولذلك ليس بمستغرب أن يختار الرئيس بوش الابن-الذي عمل في مجال البترول في تكساس ونائبه ديك تشيني الذي عمل في شركة انرون وتخصصها في مجال الخدمة البترولية- غزو العراق (ص ١٧).

الغرب والعرب من التاريخ إلى الجغرافيا

في الفصل الثاني يعرض المؤلف لمختصر تاريخ البترول تحت عناوين: الجيولوجيا، والجغرافيا والجغرافيا السياسية. ويقرر أن البترول العربي قد خصص من البداية للدول الغربية منذ لحظة منح امتيازات التنقيب عن البترول لأوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. وبالرغم من تصوير الغرب للعرب على أنهم شيوخ أثرياء، إلا أن مجموع دخل دول الأوبك في عام ٢٠٠٣ كان حوالي ٢٤٠ مليار دولار أمريكي، وهو ما يقل عن إيراد شركة وال-مارت الأمريكية، في نفس العام وهي شركة تعمل في تجارة التجزئة. وأن مجموع الأصول التي امتلكتها ٤٨٠ مؤسسة تمويلية وبنكا عربيا في جميع الدول العربية في عام ٢٠٠٤ كان ٧٨٠ مليار دولار أمريكي، تمثل نحو ٦٢٪ من مجموع أصول بنك مجموعة سيتي Citigroup.

ويرى المؤلف أيضا أن ميول الغرب تجاه العرب تمتد جذورها إلى الزمن الذي هزم فيه المسلمون الإمبراطورية الرومانية. فقد أدت الجغرافيا دورا في ذلك نظرا لوقوع الإمبراطورية العثمانية في طريق الحرير، ثم غزو نابليون مصر في القرن الثامن عشر، الذي حفز الانجليز على محاربة فرنسا على أرض مصر، واكتسبت قوة أكبر في الشرق الأوسط. بل من الأصح القول إن هذه المواجهة قد بدأت قبل ذلك بكثير، أي منذ زمن الحروب الصليبية وطرد المسلمين من اسبانيا. واستمر تأثير الغرب على المنطقة من أجل تحقيق فصل العرى الوثيقة بين الدين والدولة في الإسلام خلافا لما يعتقده المسلمون. وقد نجح الغرب في أعقاب الحرب العالمية الأولى في تفتيت الدولة العثمانية والقضاء على فكرة الخلافة الإسلامية، وذلك ما تضمنته اتفاقية سايكس وبيكو. وقسّمت المنطقة العربية بين انجلترا وفرنسا.

وينتقل الكاتب بعد ذلك إلى رواية قصة بترول العراق، ويشبّه الاستعمار البريطاني الذي ساد في القرن العشرين ببناء الإمبراطورية الأمريكية الذي بدأ في القرن الماضي ويستمر في هذا القرن. لقد حرّض الرئيس السابق جورج بوش الأب في عام ١٩٩١ العراقيين على الثورة ضد صدام حسين، إلا أن واشنطن كانت تخشى الثورة الشعبية لتأييده. ومن ثم ذهب بعض المحللين إلى القول إن الولايات المتحدة الأمريكية قد شجعت صدام حسين على غزو الكويت، وأن الدافع الرئيسي وراء ذلك هو السيطرة على البترول.

ويعيد الكاتب تحركات سياسية تشبه حركات الشطرنج من أجل التوصل إلى السيطرة على البترول، ومن ذلك تشجيع صدام حسين على الحرب ضد إيران التي دامت لمدة ثماني سنوات. ويختتم هذا الفصل بأمرين في السياسة الأمريكية؛ أولهما أخبار الرئيس كلينتون للأمم المتحدة في عام ١٩٩٣ بأن «الولايات المتحدة الأمريكية سوف تعمل بطريقة متعددة الأطراف كلما أمكن ذلك، ولكنها سوف تتصرف بصورة منفردة عندما يكون هذا ضروريا» أي لمصلحتكم. والأمر الثاني ما ذكره وزير الدفاع الأمريكي وليام كوهين عام ١٩٩٩ من أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تستخدم القوة العسكرية بإرادتها المنفردة لحماية مصالحها الحيوية التي تتضمن الولوج الحر إلى الأسواق الرئيسية، وإلى مصادر الطاقة وغيرها من الموارد الإستراتيجية.

البترول والدولار: الاقتصاد النقدي والاقتصاد العيني

يربط التحليل في الفصل الرابع بين قيمة الدولار وسعر البترول. أي الذهب الأسود. وذلك من خلال أحداث قد تبدو للوهلة الأولى غير مترابطة. وأهم هذه الأحداث هي:

١ - التنبؤ بأن كمية إنتاج أمريكا من البترول سوف تصل إلى الذروة في عام ١٩٧٠، لتنخفض تدريجيا بعد ذلك، وهذا ما حدث فعلا. وأصبحت أمريكا بلدا مستوردا صافيا للبترول في عام ١٩٧٠، وحدث أول عجز في ميزان التجارة الأمريكي في العام التالي ١٩٧١.

٢ - بلغت قيمة الدولارات الأمريكية المتداولة خارج الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٧١ نحو ٣٠٠ مليار دولار، في حين أن قيمة احتياطيات الذهب في فورت نوكس لا تتعدى ١٤ مليار دولار، حيث كان سعر أوقية الذهب ٣٥ دولارا أمريكيا. وهذا الوضع هو الذي دفع الرئيس نيكسون إلى الخروج عن قاعدة الذهب في ١٥ أغسطس ١٩٧١، وتخلت الولايات المتحدة الأمريكية على تحويل الدولار إلى ذهب بهذا السعر.

٣ - طبعت أمريكا كميات هائلة من الدولارات لتمويل حرب فيتنام وغيرها، مما دفع الرئيس الفرنسي السابق شارل ديجول إلى المطالبة بعودة الاقتصاد العالمي إلى نظام قاعدة الذهب، لتجنيب مشكلة تضخم الدولارات وارتفاع معدل التضخم في العالم، وتذبذب أسعار صرف العملات. إلا أن هذه الدعوة لم تلق قبولا.

وهذه التطورات من أهم الأسباب التي أدت إلى زيادة كمية النقود أي الدولارات في العالم، وأصبح الاقتصاد النقدي أكبر حجما من الاقتصاد العيني، كما أصبح البترول سلعة للمضاربة وليست فقط مصدرا للطاقة.

وترتب على ذلك اضطرابات اقتصادية عدة منها: أزمة المكسيك في منتصف عقد التسعينيات من القرن العشرين. ومن ناحية أخرى، اشتملت خطة سيطرة الغرب على البترول على مراحل ثلاث هي: تنمية البنية العسكرية في الدول الخليجية في الفترة من ١٩٧٤ إلى ١٩٩٠، وذلك لإمكان استخدامها في تحركات القوات الأمريكية في المنطقة. وامتدت المرحلة الثانية من ١٩٩٠ إلى عام ٢٠٠٣ التي شهدت حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١ ثم غزو أفغانستان في عام ٢٠٠١، وذلك ترسيخا لميلاد نظام عالمي جديد يتميز بأحادية القوة المهيمنة على العالم. وفي عام ٢٠٠٣ بدأت المرحلة الثالثة للخطة وهي الحرب الشاملة على العراق والسيطرة على البترول. ولكي تكتمل رواية الكاتب لقصته، يعرض في الفصل الخامس للتطورات التي حدثت في داخل الأوبك، وشركات البترول الكبرى، واليد الخفية وراء ما يحدث. ويتلخص هذا الفصل في أن سياسات البترول تحددها أساسا شركات البترول الكبرى الغربية من أجل مصالحها ومصالح الغرب، وأن هذا لم يكن دائما بما يحقق المكاسب للجميع وخاصة دول الأوبك التي لا تُرعى مكاسبها إلا إذا توافقت مع مصالح الغرب.

إسرائيل والمحافظون الجدد وإشعال الحرب

يفصل الكاتب رعاية الغرب لمصالح إسرائيل في الفصل السادس، منذ وعد بلفور في عام ١٩١٧، الذي كان بداية المسيرة لإنشاء دولة إسرائيل في فلسطين بدلا من الأماكن الأخرى التي كانت مطروحة مثل البرازيل وأماكن أخرى في أفريقيا. ويبين الدور الذي قامت به أمريكا لإقامة دولة إسرائيل ودعم مشروعها النووي وذلك تحت تأثير اللوبي الصهيوني القوى.

وقد نجح هذا الضغط في مساندة إسرائيل في كثير من الأحداث منذ حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ إلى تخلي الرئيس بوش الابن عن مشروعه الذي سمي «خارطة الطريق» من أجل إقامة دولة فلسطينية مستقلة. ويذكر المؤلف كثيرا من الأحداث الدامية التي كانت تقف وراءها الموساد من أجل دفع السياسة الأمريكية للسير في اتجاه مصالح إسرائيل. وفي ضوء ذلك أدت المعونة الأمريكية إلى نمو القوة العسكرية الإسرائيلية نموا كبيرا بعد أن مُنيت بهزيمة كبيرة في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

ويطرح الكاتب في نهاية هذا الفصل التساؤل حول ما إذا كان الناس في الولايات المتحدة الأمريكية يخشون قوة اللوبي الصهيوني، أم أن لإسرائيل والولايات المتحدة مصالح إستراتيجية مشتركة؟ ويرى المؤلف -في سياق براهينه- أن السياسة الأمريكية تميل نحو الحفاظ على مصالح إسرائيل حتى لو كانت على حساب المصالح الأمريكية. ووجهة النظر هذه هي التي أيدها كل من ديزموند توتو والكاتبان الأمريكيان جون ميرشماير (الأستاذ في جامعة شيكاغو) والأستاذ ستيفن والت (الأستاذ في جامعة هارفارد).

ويكتمل بناء الوقائع في الفصل السابع بتبيان دور المحافظين الجدد في الحرب الصليبية على البترول وذلك تحت عنوان «الله والبترول». وأهداف المحافظين الجدد أوجزت في أمرين هما مبدأ بوش والقرن الجديد الأمريكي. أما مبدأ بوش فيقرر لأمريكا الحق في شن حروب استباقية، والمبدأ الثاني هو التسليم بأن القرن الحادي والعشرين هو قرن الإمبراطورية الأمريكية. ولا يخفى المحافظون الجدد تحيزهم لإسرائيل ورعاية مصالحها. ومن أمثلة هؤلاء المحافظين الجدد:

أرفنج كريستول I. Kristol الذي يشار إليه بأنه عراب المحافظين الجدد، وعضو النخبة الفكرية بنيويورك.

بنورمان بود هوريتز N. Podhoretz الذي كتب عدة كتب يدافع فيها عن أن صون حياة إسرائيل حيوي لتنفيذ الإستراتيجية العسكرية الأمريكية. جيول وولفوويتز P. Wolfowitz والذي شغل منصب وكيل وزارة الدفاع الأمريكية، وخرج بفضيحة جنسية من رئاسة البنك الدولي التي عين بها مكافأة لجهوده في خدمة مصالح إسرائيل.

دريتشارد بيرل R. Perle وهو مهندس جدول أعمال «التدمير الأخلاقي».

هدوجلاس فيث D. Feith وهو من كبار مناصري إسرائيل.

وقد لعب هؤلاء جميعا دورا في تنفيذ السياسات التي اتبعها الرئيس السابق بوش الابن، والتي عانى منها العالم وتضرر ضررا كبيرا وما زال.

مستقبل البترول: رهانات وإكراهات

يختتم الكتاب بالفصل الثامن بمحاولة رسم صورة المستقبل تحت عنوان «عدم كمال المستقبل: لماذا يجب أن تتغير أمريكا؟». ويضع المؤلف أهم التوقعات التي سوف تشكل هذا المستقبل ومنها: نضوب البترول بنهاية القرن الحادي والعشرين، وأن إنتاج بديل للبترول عملية باهظة التكاليف من حيث الوقت والمال. وفي الوقت نفسه فإن العمود الأساسي للإمبراطورية الأمريكية هو البترول، الذي يقبع تحت أراضٍ تختلف حضاريا وثقافيا مع ما هو سائد في أمريكا. كما يتوقع الكاتب أن يشهد القرن الحادي والعشرين تعاظم قوة كل من الهند والصين. ولا تمانع الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك -كما سبق القول- طالما كانت تتحكم في عنصرين أساسيين من نموهما وهما البترول وتدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر.

ويضيف الكاتب اتجاها عاما آخر يأخذ مجراه في العالم الغربي القديم وهو نقص معدلات المواليد، مع تزايد نسبة المتقاعدين إلى العاملين. فبعد أن كانت نسبة العاملين إلى المتقاعدين ١ على ٥ أصبحت ١ على ٢. وهذا مما سيدفع هذه الدول إلى استيراد الأيدي العاملة وتوليد موجات من الحركات السكانية عبر الأقاليم. وتسعى أمريكا إلى سد فجوة الأيدي العاملة هذه من غير الدول الإسلامية. وهذا ما يزيد من احتمالات حدوث تصادم الحضارات الذي أكد عليه كل من برنارد لويس وصموئيل هنتنجتون. ومن أجل ذلك شوّه كثير من الكتاب صورة الإسلام والمسلمين، وأكدوا الزعم بأن الإسلام قد انتشر على أسنّة الرماح، وذلك خلافا لكتاب آخرين، مثل كارين أرمسترونج التي أكدت على أن الإسلام الصحيح لا يدعو إلى الحرب، بل ويتسامح مع الآخر.

ويعقد الكاتب مقارنة مطولة لنقاط الاختلاف بين النظام الرأسمالي والنظام الاقتصادي من منظور إسلامي. وأن هذا الاختلاف هو الذي يؤدي إلى استمرار الصراع بينهما من وجهة نظر الغرب. وفي محاولة تخمين ما ستكون عليه اتجاهات المستقبل يذكر أن مشروع إقامة الإمبراطورية الأمريكية سوف ينمخض عن أربعة أشياء هي:

أولا : استدامة حالة الحرب مما يؤدي إلى مزيد من الكراهية والحرب ضد أمريكا.

ثانيا : مزيد من فقدان الديمقراطية والحقوق الدستورية للمواطنين الأمريكيين نتيجة لتزايد قوة الرئاسة بالمقارنة لقوة الكونجرس. ولكن ما ذهب إليه المؤلف هنا ربما يكون غير صحيح بعد انتخاب الرئيس أوباما.

ثالثا: مزيد من نشر الدعاية، والبيانات المضللة، وتمجيد الحروب والقوة بدلا من نشر الحقائق.

رابعا: سوف تفلس أمريكا نتيجة لتعاظم الإنفاق على الحروب بدلا من الإنفاق على التعليم والصحة وأمن المواطن وأمانه.

كان موضوعيا إلى حد بعيد، ودعم وجهات نظره بأبحاث الخبراء الأمريكيين. أما عن التوقعات واتجاهات المستقبل فهذه اجتهادات شخصية قد تصيب وقد تخيب، والحكم عليها لا يكون إلا بانتظار ما تسفر عنه الأحداث المستقبلية، التي قد يطول زمن انتظارها لأكثر من جيل. ومما لاشك فيه أن محاولات الهيمنة في ظل صراع الحضارات لا ينتج عنه إلا مزيد من البغضاء والحروب، والمأمول أن يدفع ما عانى العالم منه من أضرار خلال العقد الماضي إلى مزيد من التنافس الحميد بدلا من المواجهة المدمرة. وكذلك يبدو أن غياب بوش الابن وحلول الرئيس أوباما محله قد أبرز بعض التغيرات في السياسة الأمريكية، التي نأمل أن تقلل من الحروب والمواجهات من أجل تحقيق عالم أفضل يتمتع بالسلام، والبيئة النظيفة ويستفيد سلميا بثمار العلم والتكنولوجيا.

خاتمة

على الرغم من أن كاتب الكتاب من أصل فلسطيني مما يوحي بأنه متحامل على تحيز السياسات الأمريكية لصالح إسرائيل، إلا أنه

الكتاب:
Title: Oil Crusades America Through Arab Eyes
Author: Abdulhay Zalloum
Publisher: Pluto Press, May ٢٠٠٧
ISBN: ٩٧٨-٠-٧٤٥٣-٢٥٥٩-٠
ISBN١٠: ٠-٧٤٥٣-٢٥٥٩-٩

لـــؤي حـــمـــزة عـبـاس

افتضاض المسكوت عنه وتعميق الأسئلة في مدينة الصور

عرض: علي الحسيني

(١)

من المؤكد أن الرواية اليوم لم تعد شكلا أدبياً وجمالياً حسب، يُعنى بها متذوقو الأدب والمشتغلون بهذا الحقل الإبداعي. بل ثمة تحول كبير تعيشه الرواية، بعد أن أصبحت الشكل الجامع لحقول إبداعية وفكرية ومعرفية متنوعة، نقرأ فيها الأدب والفن إلى جانب السياسة والفلسفة والاجتماع. وسوى ذلك من حقول هائلة، تتداخل لتسهم في بناء سردي مشوق وجذاب وتثري من نسيجه الحكائي. إلا إن الرواية في العراق- وهو رأي متفق عليه بين عدد مهم من النقاد- لم تقد كثيرا من ثراء تلك الحقول، ولم تستطع عبور الأدب، ومحدداته لصالح إفراد مساحة مهمة في النص الروائي، لحقول عابرة للأدب، والبلاغة، وسواهما.

بالرغم من ان (الفن) بكل تقنياته وألاعيبه صار صيدلية – بتعبير الروائي الأمريكي بول أوستر- تأخذ منها ما يفيدك في الكتابة (لقد انتهى تاريخ الرواية باعتباره صعوداً عمودياً. ولم يبق أمامها سوى الانشغال والقلق بحركتها الأفقية. حركتها باتجاه الآخرين).

(٢)

يحاول القاص والروائي "لؤي حمزة عباس"، في روايته الجديدة "مدينة الصور" الصادرة عام"٢٠١١" عن الدار العربية للعلوم بالاشتراك مع دار آزمنة، تكسير تلك "القاعدة" النمطية لصالح القارئ على مختلف مستويات وعيه وإدراكه.

تنتمي "مدينة الصور" إلى رواية المدينة، بكامل أحداثها، ووقائعها، وأزمنتها، وأمكنتها. فهي تدور داخل المدينة، وتتحدث عن حراكها الاقتصادي والاجتماعي المدني. وعن تفاصيل الحياة فيها. مشيرة إلى أحيائها النظيفة، وشوارعها الفسيحة، والعناية بالحدائق العامة.

إلى جانب حضور المسرح، والسينما، والحفلات الغنائية العامة وسط الناس آنذاك. وتفاعلهم معها، إلى درجة صيرورة ذلك تقليد شائع بينهم.

تأخذنا الرواية في رحلة يمتزج فيها الفرح، والمرح إلى جانب الألم، والفجيعة. كل ذلك في فترة عقد من الزمان تقريبا، وداخل حدود مدينة البصرة، وهي لا تكتفي باستدعاء مرحلة زمنية عاشتها البصرة حسب، بل تحتفي بجوانبها المشرقة، وتدين المراحل اللاحقة المعتمة فيها.

يضعنا "لؤي حمزة عباس" أمام نص روائي، يتجاوز الحبكة الجمالية، والفنية للنص السردي، باتجاه "سردية" تتناول قضايا مسكوت عنها، وتتحرش بمحرمات، ومرويات مُسلمٌ بها. وتتسع لتشمل موضوعات إشكالية. سواء في السياسة أو الدين أو الاجتماع. وهذا ما لم تعرفه السرديات الروائية العراقية كفاية أو لم تتعامل معه بجدية مستحقة.

تبرز مقدرة "مؤلف الرواية" في تقديم رؤية مدهشة عن الأشياء، والحيوات. وحفر عميق لمشاهدها، بتبنياتها الصلدة، والرخوة في الآن نفسه.

(٣)

مسرح رواية "مدينة الصور"، ومكان أحداثها المتناقضة، ووقائعها المتضاربة، هي مدينة المعقل، المطلة على "أقدم" موانئ البصرة، وهو "ميناء المعقل" الذي اخذ اسمه من اسم المدينة.

لماذا اختار كاتب الرواية مدينة المعقل؟ مع ان الأحداث التي شهدتها تلك الفترة، كانت تجد لها ما يشبهها في مدينة البصرة، ومدن عراقية عديدة؟.

"لزعم" أن اختيار المعقل جاء لسببين؛ "الأول" إنها مدينة "مؤلف الرواية". الذي خبر دروبها، وحيواتها، وأحداثها، وصراعاتها. وعاش مرحها، وعزاءاتها، وزامل بعض شخصياتها، ووجوهها. و ذلك يساوي عند "الروائي" مادة خام هائلة، لتشكيل نصه الحكائي. الذي لا يمكن أن يتشكل دون الرجوع أو الإفادة من حكايات حقيقية، "عاشها" صاحب الرواية نفسه. خصوصا نحن نتحدث عن نص روائي، ينتمي إلى صنف روايات السيرة المدعمة بالواقعة التاريخية (بالمعنى الذي سنشرحه بعد قليل).

والسبب "الثاني" هو؛ ان المعقل كانت بوابة البصرة على العالم. فعبر ميناءها عرفها العالم الحديث. وعبره أيضا تعرفت هي على بضاعته، وثقافته، ومدنيته، وتقاليده.

كانت"المعقل"مدينة متعددة الثقافات، والهويات، والجنسيات. ومسرحا لكل أحداث البصرة، فحراكها المتنوع، لم يكن يهدأ، ولا يتوقف. كان أهلها يمثلون الوجه العصري، والمدني لسكان البصرة. وكانت نقطة جذب كبيرة، لعموم أهاليها. خصوصا من سكنة المدن.

ومع ذلك، فقد تمكن "الكاتب" وببراعة، تجاوز الحدود الضيقة لجغرافية "المعقل"، نحو عموم فضاء البصرة. فـ"سرديته" عن تلك الحقبة المضيئة، والمعتمة في الوقت نفسه، كانت شاهدا (على الصعود القسري لنمط من الحياة ما يزال أثره شاخصاً في مجرى حياتنا).

(٤)

كما تمكن "المؤلف" من أن يصنع من شخصيات الرواية، وعلى درجة كبيرة من المنزلة، شخصيات مرحة، ونشطة، ومداعبة. فكان حوارها، وصراعها ممتعا لا ملل فيه.

يقول "وت برنت" (ابدأ بملء خزان خيالك بكل ما يمكنك أن تجمعه من شخصيات في حياتك، لتستخدمها في المستقبل، وحين يمتلئ الخزان افتح البوابات، ودع الفيضان يسيل لما أنت على استعداد له، وحين تفعل ذلك أفعله بجرأة).

وهذا ما فعله الكاتب. فقد قدم لنا شخصيات مثيرة، وجريئة. أمسكت بزمام المتلقي، حتى آخر لحظة.

ولإبقائه على الإثارة لدى شخصيات الرواية، وفي الإطار السردي العام لجأ "لؤي حمزة عباس" إلى استدعاء شخصيات تاريخية مؤثرة، ومهمة. تلك التي كان لها حضورها الفعال، والمؤثر في مشهد مدينة البصرة، والمعقل بصفة خاصة. وابرز الشخصيات التي استدعاها هي: "الزعيم عبد الكريم قاسم، والإمام الخميني، والمطرب عبد الحليم حافظ" وجميعهم كانوا مؤثرين في مجرى الحياة، ولهم الدور في صياغة أفكار، وقناعات، وأحلام كثير من الناس آنذاك. فعبد الحليم حافظ (يُحلّق مثل طيف في أحلامنا) "ص٣٠". والزعيم عبد الكريم قاسم (شخصية لا تغيب عن درس التاريخ. مهما كان الدرس. تاريخ أوربا أو تاريخ الإسلام. تاريخ العراق القديم أو تاريخ الوطن العربي)؛"ص٤٤". والإمام الخميني (يُحسونه يشقّ صدورهم، ويصعد مثل شعاع إلى السماوات). "ص٧٦".

(٥)

نقطة امتياز أخرى تحسب لرواية مدينة الصور، فقد اتسمت لغتها بالرشاقة، والمرونة، وعناية بجمالية الكلمة، وشعريتها أحيانا. وسط قالب مشوق، ينطوي على إثارة متلاحقة، حاضرة في تفاصيل، وعموميات النص السردي.

كذلك اتسمت لغة الرواية بالوضوح، وغياب الترميز، والتلغيز فيها. ونأيها عن السقوط في المباشرة المبتذلة.

كما كان هناك حضور واضح "للتعدد اللغوي" فوجدنا العامية الدارجة، إلى جانب الفصيحة، بمستوييها المحكي، والمكتوب. وبديهي أن نجاح الرواية، مرتهن بمدى (قدرتها على أن تكون ملتقى للأصوات المتعددة، واللغات المتباينة، والمتصارعة، وللخطابات، والحوارات الكاشفة للأفعال، وخلفياتها الأيديولوجية).

ولعل من أشهر "العيوب" التي تعانيها منها الرواية في العراق هو؛ أن معظم كتابها يطغى فيها-الرواية- صوتهم على باقي الأصوات. صحيح أن هذه الإعابة لا يختص بها كتاب الرواية في العراق حسب، بل يشترك معهم طيف واسع من كتابها في العالم العربي. لذا بقيت غالبية تلك الروايات تدور في فلك (الرواية المنولوجية).

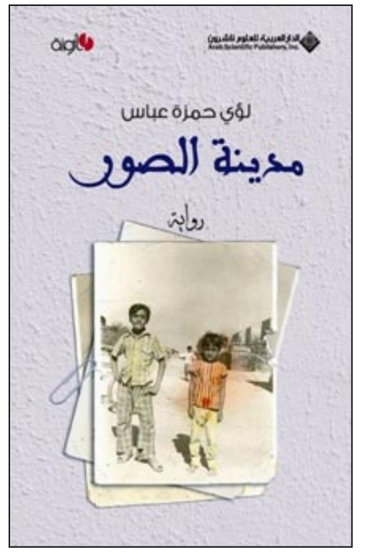

في مدينة الصور نلمس بوضوح وعي "لؤي حمزة عباس" بتلك الإعابة. مع جهد واضح بمقدرتها لصالح الرواية المتعددة الأصوات (البوليفونية). التي يكون فيها حضور صوت المؤلف إلى جانب بقية الأصوات والشخصيات الحاضرة في العمل الروائي.

ضمت "مدينة الصور" شخصيات عديدة متنوعة المراتب والمستويات الاجتماعية والثقافية، والتعليمية، وحتى العمرية. فقد كان حضورها الكثيف لذيذا وجميلا. حيث منحتنا رؤى متنوعة عن العالم، وعن الحياة. وتفسيرات متعددة للأحداث، والوقائع.

(٦)

بالرغم من أن أحداث الرواية، ومجرياتها كانت تدور في مساحة زمنية محدودة بين أواخر الستينات وأوائل السبعينات، لكن ثمة تعدد زماني داخل هذا العقد في الرواية. حيث بدأت بسرد حكايات اجتماعية مستقرة، ومرحة. تتسم بالهدوء، والسكينة، والحلم إلى حد كبير "حياة المدينة مع الميناء، ومغامرات الطفولة، والعلاقات الاجتماعية، وعادات الناس، وأفراحهم، ووو الخ" بعيدا عن هيمنة السياسي. بعد تلك البداية التي تأخذ أكثر من نصف مساحة الرواية، يدخلنا كاتبها في فصل آخر يتسم بالعتمة، والظلمة. ينتقل بنا من الحلم إلى الكابوس، من الحياة إلى الارتياب، والخوف، والدم. فصل يسرد لنا سيرة العسكر القامع، والسياسي المستبد، مع مسلسل من الخيانات والانقلابات. كل ذلك يظهر من وقت سطوع نجم "صدام حسين" الذي ابتدأت أجهزته حملة الاعتقالات العشوائية الظنية (التي لم يتركوا فيها بيتا أو جامعا أو مدرسة أو معملا أو مستشفى إلا وقلبوه على بطانته)"ص٩٤". وحيث دخلت البصرة (نفقا ضيقا. معتما وطويلا... من الخارج مضاء. جدرانه صقيلة لامعة الطلاء. لكن أحدا لم يكن يدري ما ينتظره في الدواخل الصخرية) "ص٩٧"

وعبر"الزمن المعتم" هذا تمكنت الرواية من إخراج نفسها من المعطى الحيني للحقبة المتناولة إلى راهنية مفتوحة، بوصفها حاضنة للوقائع، والمصائب المتشابه لاحقا، والمتواصلة حتى اللحظة.

وما أن يتصور المتلقي أن الرواية ستنتهي بهذه التراجيديا، حتى يفاجئنا المؤلف بلعبة تقطيع فصول الرواية، لينتقل بنا إلى خاتمة هي اقرب إلى روح "الفصل الأول" حيث يعيد لنا حكاية الشط، والميناء كما بدأ، وحركة الموانئ، والحضور الأجنبي الوافد معها. وكأنه يريد تذكيرنا بالحكمة الساحلية التي يوردها في بداية الرواية.

كل شي في البصرة يبدأ عند الشط.

تلك حكمة المدن الساحلية.

كل شي ينتهي عنده. "ص١٢"

(٧)

ثمة لازمتان يواجههما القارئ في معظم صفحات رواية مدينة الصور. "اللازمة الأولى": هي فعل (حسّ)، واشتقاقاته وتصريفاته (أحسّ، يحسّ، نحسّ، ووو). وتبدأ هذه اللازمة من السطر الأول في الرواية (شيء ما يتغير. شيء لا يكاد يُرى. لكنه يُحسُّ على الوجوه بملامحها الموهنة مثل أثر جرح قديم يندمل)"ص٩" وهكذا يستمر الحضور الكثيف لهذا الفعل في مجمل أحداث الرواية (وأحسها تضمني)"ص٢٠" (فبدأ يُحس خدرا خفيفا في أطرافه)"ص٤٥" (أحسست كأنني أقف بمواجهة محرك طائرة نفاثة "ص٦٩" (أحس فور قراءة الكتاب أن الجميع يرقبونه من مدير الأمن حتى اصغر ضابط في سرية المقر) "ص١٢٦".

ثمة قصد –كما اعتقد- يكمن خلف التكرار الكثيف لهذه الكلمة، ومشتقاتها. ربما يريد صاحب الرواية إلفات نظرنا إليه. وهو إن أحداث الرواية، وحكاياتها المتصالحة، والمتناحرة لم تكن مجرد أحداث زمنية محدودة بالمدينة، وناسها. وإنما كانوا "يحسّون" بها، ويعيشون حلاوتها وحنظلها. كانت تترك أثرها العميق في نفوسهم، وتطلعاتهم، ومدينتهم، وأشيائهم. لم تكن وقائع عابرة وحسب، بل نمت معهم في أجسادهم وأرواحهم. (مثل اثر جرح قديم).

أما "اللازمة الثانية" التي تواجهنا بها الرواية هي جملة (الصور تتكذب)، التي هي الاخرى تسجل حضورها المستمر في الرواية (اعرف أن الصور تكذب. وإنها أبداً لن تكون الوجه، والحكاية، والحلم)"ص٧٧".

لأنّ الحقيقة ليست كما تظهرها الصور. فهي لا تعطينا إلا وجه واحد، وتحجب عنا بقية الوجوه (لم تكن بين خالي وأنا أتصوره متمهلا يمشي على الكورنيش، وصورته المحفوظة في ألبوم العائلة أية صلة)"ص١٢".

(٨)

تقوم الرواية بتقسيم الناس في تلك الحقبة إلى ثلاث مجموعات (كل منها يمضي على طريق). "ص٤٩". لكن ليس من منظار طبقي أو فئوي، إنما عبر توجهاتهم، واهتماماتهم التي ليست بالضرورة تعتمد على قناعات عميقة، وأصيلة.

(مجموعة جامع المعقل. بلحاهم القصيرة. ونظراتهم الزائغة) و(مجموعة فيلم الظهيرة العربي...يحيوا ساعتين... ساعتان يعيشون فيها خارج المعقل. خارج البصرة نفسها) و(مجموعة المطابخ. مطابخ دور عمال الميناء الصغيرة الخانقة)." ص٥٠-٥١". بالرغم من لجوء كاتب الرواية الى هذا التقسيم "المجموعاتي" إلا أن اللافت إن "الراوي الصغير واصحابه" لم يكونوا في أي من هذه المجموعات. (لم تكن تستهوينا ..أي من المجموعات الثلاث بأحلام أناسها. وبسماواتها الفسيحة أو الضيقة. المضيئة أو المعتمة. وبأراضيها المعشبة او المبلطة بالاسمنت)" ص٥١".

ومع أن "الرواية" قامت على تقسيم الناس إلى مجموعات ثلاث، إلا انها أبقت الباب مفتوحا أمام تشكل مجموعات أخرى أو العيش دونها. على الرغم من أن لكل واحدة طريقها الخاص، لكن (طرق لا تتقاطع) بتعبير المؤلف.

وكأني بالروائي يمارس إدانة، وفضحا للمحاولات اللاحقة، التي قامت بقسر الناس على مجموعات سياسية او حزبية او حتى دينية، مع ممارستها تكسير وتدمير كل المجموعات الأخرى أو الذين يرفضون التصنيف تحت أي مجموعة.

(٩)

ميزة أخرى لرواية (مدينة الصور) هي؛ أنها قاربت موضوعات محرمة، وتحرشت بمجالات حمراء لم تعتد الرواية العراقية الخوض فيها، بدرجة بعيدة عن التلغيز والغموض. فقد عرضت لنا الرواية (الدين) كمجال روحي، له القدرة على المواءمة مع مجالات الحياة الأخرى. كان الدين، وشعائره -في الحقبة الزمنية التي تناولتها الرواية- جزءا من مركب المدينة الاجتماعي. لم يكن وقتذاك صاحب أدلوجة أو علاقة بالسياسة أو السياسي. فكما كان للقارئ عبد الباسط عبد الصمد حضوره القوي وهو (ينغّم آيات الحشر) "ص١١" . أيضا كان إلى جانبه حضور قوي آخر وهو؛ صوت المطرب عبد الحليم حافظ (الذي لم ينقطع) "ص١٥".

كذلك الحال مع الإيقونات الدينية المنتشرة في البيوت، فهي لا تتعدى عن كونها موجودات روحانية للتبرك.

ويتحرش"الكاتب" بـ"تابو" الجنس. عبر تخصيصه مساحة مهمة من الرواية. وعبر مغامرات الراوي الصغير، ومجموعته أثناء مراهقتهم، واكتشافهم هذا العالم (لم نكن قد رأينا جسدا نسويا عاريا.. كانت أجساد النسوة تتقافز من شاشة سينما نادي الميناء الرياضي إلى رؤوسنا. أجساد عامرة تلمع تحت بريق الشهوة) "ص٢٦". وكيف كان الجنس لاعبا أساسيا في صوغ رغباتهم، وسلوكهم، وخطواتهم التي أتعبها الركض وراء يوسف حنش "صاحب مجلات الجنس". وما تبع ذلك من اكتشافهم للجسد، ومراكمة الاشتهاء، وانتفاض الغريزة التي وجدت منفذها في ممارسة الاستمناء (امسك عضوي واضربه على الحائط بعد أن باغتني فأطلق قذيفته اللزجة). "ص٢٧"

(١٠)

طبعا ثمة موضوعات مهمة توقفت عندها الرواية من قبيل: (الأقليات والتعايش المشترك ، إيران والحرب وتداعياتها، المرأة وظروفها ، عادات الناس وأعرافهم، العمالة في دول الخليج). كلها موضوعات قدّم لنا كاتب الرواية تصورا عنها، وعن طبيعة حركتها في تلك الحقبة. وقد كان لها جاذبيتها في إبقاء البناء الروائي داخل مدينة الصور متماسكا، وساحرا. دون أن يعني ذلك الغنى عن جماليات الكلمة وقواعد الحرف. ربما يصنف البعض مدينة الصور على أنها رواية تاريخية او رواية سيرة بسبب تناولها أحداثا، ووقائع حياتية حقيقية عاشتها على نحو ما مدينة المعقل في البصرة، في الفترة الواقعة بين أواخر الستينات و أواخر السبعينات. لكن هذا التصنيف ليس دقيقا بالمعنى الحرفي. إذ أن الرواية يتشابك فيها التاريخي الواقعي بالتاريخي المتخيل الذي هو حصيلة ابتكار، وتوليف، ومزاوجة بينهما من قبل كاتب الرواية. وكون أنّ الرواية حاكت "أحداث تاريخية معلومة" لا يعني أنها أضحت وثيقة تاريخية، إنما حضور الواقعة التاريخية جاء لغرض المؤاخاة بين الواقع، والمتخيل (في إنتاج عالمها، واستحضار شخصياتها التي نزلت من دروب الواقع، ودروب الخيال)."ص١٥٥"

رواية مدينة الصور هي سيرة مدينة أحبت الحياة، وعاشت حلمها، لكنها استفاقت على كابوس غيّر عوالمها المرحة.

هي رواية ليست من النوع الذي يجيب على الأسئلة. فهي تنأى عن ذلك لصالح تعميقها، وكما يقال فإنّ السؤال أصدق من الإجابة.

لماذا فشل الغرب في احتواء الأصولية الإسلامية؟

عرض: فدوى فاضل

صدر مؤخرا عن مؤسسة أوثرهاوس كتاب "معقل المجاهدين الجديد.. لماذا فشل الغرب في احتواء الاصولية الاسلامية" للكاتب والمحلل السياسي غابريل طبراني.

ربما يرى البعض ان توقيت صدور الكتاب جاء (صدفة) منسجما مع مقتل زعيم القاعدة على ايدي القوات الامريكية وما رافق مقتله من أمل في بداية نهاية عهد ارهاب القاعدة. لكن الكاتب لا يربط الاعمال الارهابية التي قام بها الأصوليون الاسلاميون في العقدين الأخيرين في انحاء العالم بشخص بن لادن نفسه، بقدر ما يحاول ان يشرح بوضوح وذكاء شديدين للعقل الغربي،خصوصا، كيفية ظهور ونشأة التيار الاصولي في الشرق الأوسط وامتداده الى الغرب. فهو مثلا يعيد صياغة السؤال التقليدي الذي يُطرح بعد كل عملية ارهابية "لماذا تريد القاعدة؟" الى سؤال أكثر شمولية وعمقا وهو "لماذا تؤمن القاعدة بوجوب الجهاد وبهذه الطريقة؟" والجواب من وجهة نظر القاعدة انه "ليس ثمة خيار اخر". فقائمة المآخذ والاتهامات للانتهاكات الغربية لـ"عالم الاصوليين" طويلة.

فغطرسة الغرب وسيطرته المباشرة او غير المباشرة على مفاصل الحياة في المجتمعات الاسلامية واستغلال ثرواتها هي المحرك الاساسي للعنف في الحركات الاسلامية وليس من ذات الاسلام. وان هذا الجهاد ضد الغرب لن يتوقف ما لم يغير الغرب سياسته تجاه شعوب المنطقة ويقوم بتصحيح اخطاء الماضي. وهنا يناقش الكاتب كثيرا من المفكرين والاكاديميين الغربيين حول مدى انسجام الاسلام مع تعاليم الحضارة الغربية. فبينما يرى برنارد لويس ان الاسلام كـ"دين" لا يتسق وليبرالية الغرب، يأتي طبراني بدراسة اكاديمية حديثة (٢٠٠٨) للبروفيسور مات باريتو وبروفيسور كرم من جامعة واشنطن تقول بعدم وجود هذا "اللاتساوق" بين الدين الاسلامي وليبرالية الغرب.

يلخص الكاتب في الفصل السابع "القاعدة..الأساس للأرهاب الجديد" مبادئ القاعدة واسبابها بعد ان يكون قد شرح تفاصيل ومعالم واسباب وتطور عوامل ظهور الحركة في الفصول السابقة في عدة بلدان، كل على حدة. بدءا من مصر وظهور حركة الاخوان المسلمين في العشرينات من القرن الماضي التي استخدمت قضايا القومية كالاحتلال الانجليزي لمصر وتهويد فلسطين لاستنهاض مفهوم الجهاد لدي الشباب وتغلغل الحركة في صفوف المؤسسة العسكرية وتسييس الدين من جهة والمطالبة بتديين الدولة، الى محاولة الالتفاف على حركة أمين الحسيني الجهادية. ثم ينتقل الى الحركة الوهابية التي استُخدمت لتقوية وتثبيت شرعية الدولة السعودية في البداية، لتنقلب على الاصلاحات ومشاريع التحديث التي كانت تجري في المملكة بعد ظهور البترول. فالفكر الوهابي السلفي الذي يحرم كل الوسائل والتقنيات الحديثة التي لم توجد في عهد الرسول محمد سوف لن يقبل التلفزيون والتليفون والسيارة التي بدأت تغزو المملكة. وعلى ذلك فالمملكة التي ساهم عبد الوهاب في تأسيسها بدأت تبتعد عن الخط الوهابي الأصلي. ورغم صلات الملك فيصل الوطيدة (وعلاقة النسب) بعائلة عبدالوهاب فان جهوده لاعادة التوازن بين الدين والدولة الحديثة لم تنجح بلجم جماح الحركة ولا حتى قليلا.

بعد ذلك يعرض الكاتب تاريخ الاصولية وامتدادها الى افغانستان، باكستان، اليمن، الصومال، الشام والمغرب. ثم ينتقل الى الولايات المتحدة، اوروبا وروسيا.

خصص الكاتب فصلا لكل دولة يستطرد فيه بسرد وتحليل تفاصيل دقيقة لنقاط انفجار محتملة على المستويات الاجتماعية (القبلية خصوصا) والاقتصادية والسياسية. تلك النقاط التي استفادت في توظيفها الحركات الاصولية لشن هجومها على الغرب الكافر في معاقله وغفل عنها كبار محللي الغرب كما تقول مادلين اولبرايت في مذكراتها الصادرة عام ٢٠٠٦ يقع الكتاب في اكثر من ٤٥٠ صفحة وخمسة عشر فصلاً تبدأ بتاريخ الحركات والاحزاب الاسلامية في المنطقة، نموها انتشارها وتقلباتها. ثم يناقش جدية الصراع الثقافي بين الاسلام والغرب وماذا فعل الغرب لاحتواء الخطر الاسلامي منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر الى الوقت الحالي. فهو يحلل مواطن الفشل ويقترح بدايات جديدة جديرة بالاهتمام والدرس والمناقشة..

ورغم ان الكتاب صادر باللغة الانجليزية وهو موجه اساسا للغرب، لكنه يحوي الكثير من المعلومات والوثائق غير المتاحة حتى للقارئ العربي. فالكتاب يرفق قائمة بما يقارب الثمانمائة مرجع بلغات مختلفة ومن مصادر متعددة. وبذلك فالكتاب برأيي يأتي اضافة نوعية لدراسة وتحليل علاقة الأصولية بالعالم.

آفـــــاق

امرأة الكاتب

سعد محمد رحيم

يطوّع تحسين كرمياني مقدرته في الكتابة السردية ولغته الثرية بمفرداتها بتبييج مقالاته المتضمنة في كتاب يعطيه عنوان (امرأة الكاتب/ دار تموز ـ دمشق ٢٠١١).. فنجده في تلكم المقالات، إما يعالج قضايا وظاهرات تخص فضاءنا وزمننا الأدبيين والثقافيين، أو يستعيد ذكرياته عن أدباء راحلين. ليعرض، من ثم، كتباً عبر رؤى انطباعية. ودوماً يستغرق في بوح ذاتي عذب طارحاً أفكاراً قد نتفق معه عليها أو نختلف.

في باب الرحيل يرثي كرمياني ثلاثة من الشخصيات التي غادرت عالمنا مؤخرا، الأول هو الروائي والمسرحي الكبير محيي الدين زنكنة. حيث يبدأ مقالته عنه بالحديث عن الساعات القليلة التي قضاه مع زنكنة (بصحبة كاتب هذه السطور) في السليمانية، قبل ثلاثة أسابيع من وفاته.

«رفع كتاب (هاملت)، قال: كل عام أعيد قراءته.. ثم عرضعلينا تماثيل برونزية لـ (مكسيم غوركي وغوغول وبوشكين) قال: اقتنيتها من روسيا.. قال: أشعر بكثير من الأرق، منعني الطبيب من القراءة وحتى رؤية التلفاز، أية حياة نعيش؟».

ويكرّس الكاتب مرثيته الثانية لشاعر مغمور من مدينته (جلولاء) مات، كما يصفه، بجلطة شعرية، اسمه: رحمن وردة، هو الذي استلهم الكاتب شاكر نوري شخصيته في رواية (نافذة العنكبوت).. كان رحمن بجسده المنهك العليل يعشق الأدب بشكل غريب، يبيع السكائر في مرآب مدينته، وعلى الورق المقوى لعلبها يكتب المقالات والقصائد النثرية، ويصدر مجلة شهرية، بنسخة واحدة، يحررها وحده، بخط يده، ثم يمررها لأصدقائه ومعارفه ليقرأوها. وحين يسأله أحدهم عن مهنته يجيب بثقة عالية: أنا رئيس تحرير مجلة ثقافية. أما المرثية الثالثة فكانت للشاعر عقيل علي، الذي توارى، في موسم الفوضى، بصمت، تاركاً أثراً مؤسياً في ذاكرة الثقافة العراقية.

امرأة الكاتب هي واحدة من مقالات كرمياني في (باب الواقع) استهلها بمقولة لأراغون؛ «المرأة مستقبل العالم». ليتحدث بدءاً عن دوافع الكتابة، ومنها محاولة الهرب من واقع مؤلم خانق، أو بعدّها طريقة لنزف رؤى وأفكار، أو نقل ما يؤرق الذات للآخرين، أو إشهار قلم التحدي بوجه الخوانق المتسلطة، أو إثبات الشخصية. مازجاً في هذه الفعالية الإبداعية بين الألم والمرأة!. معرّفاً امرأة الكاتب بأنها «من ترسم للحياة تلاوين ثقافية تصب في بحر الجمال، هي من تجعل الكاتب يؤسس مكانته على رف الزمن».. لكن الكتابة في وطننا محنة لا مهنة، كما يقول. أما مثال امرأة الكاتب في ذهنه فيراه في (ميريسيدس) زوجة الروائي الكولومبي الأشهر غابريل غارسيا ماركيز، والتي كانت، في زمن يفاعتها، ملكة جمال بلادها، وفيما بعد، على حد تعبير كرمياني: «العاشقة التي جاعت، نامت في الشوارع، وعلى الأرصفة، داخل غرف فنادق رطبة وخانقة، تسترت بأوراق الصحف، تحت موجات طقس متبدل في كل لحظة، توسدت ذراع شاب معدم متقوب الحذاء، كان يمارس مهنة الكتابة الصحفية». وقبل أن يغدو ذلك الصحافي نجماً روائياً تطبق شهرته الآفاق. وحين يتطرق كرمياني إلى امرأة الكاتب العراقي يستعرض أمثلة شتى عن زيجات انتهت بمصائر سيئة أو حزينة في الغالب، وبطبيعة الحال من غير ذكر للأسماء.

في باب المكتبة يسعى لاقتناص سحر النص وأسراره فيترصد طقوس كبار الكتاب؛ كيف يكتبون؟. ويتحرى عن الكيفية التي بها يفضح النقد أسرار السرد، ومثاله كتاب (أحزان صانع الحكايات). ثم يعرض كتاب المسرحي والناقد صباح الأنباري (البناء الدرامي في مسرح محيي الدين زنكنة). ويبحث في أصل الكورد بقراءة كتاب الدكتور فؤاد حمه خورشيد الذي تشغله مسألة الهوية الكردية.

قبل أن يشرّح كتاب جمال الغيطاني (حرّاس البوابة الشرقية) منطلقاً من سؤال حاد مفاده؛ (هل دوّن ما رأى أم سرد ما أملي عليه؟).

واحتوى الكتاب قراءات في أعمال إبداعية عراقية لعدنان حسين احمد وسعد محمد رحيم وأحمد خلف ومحيي الدين زنكنة وجليل القيسي.

لينتهي في موضوعة شائكة عن «لغة الثقافة ولغة السلطة».

إصدارات دار المدى للثقافة والنشر

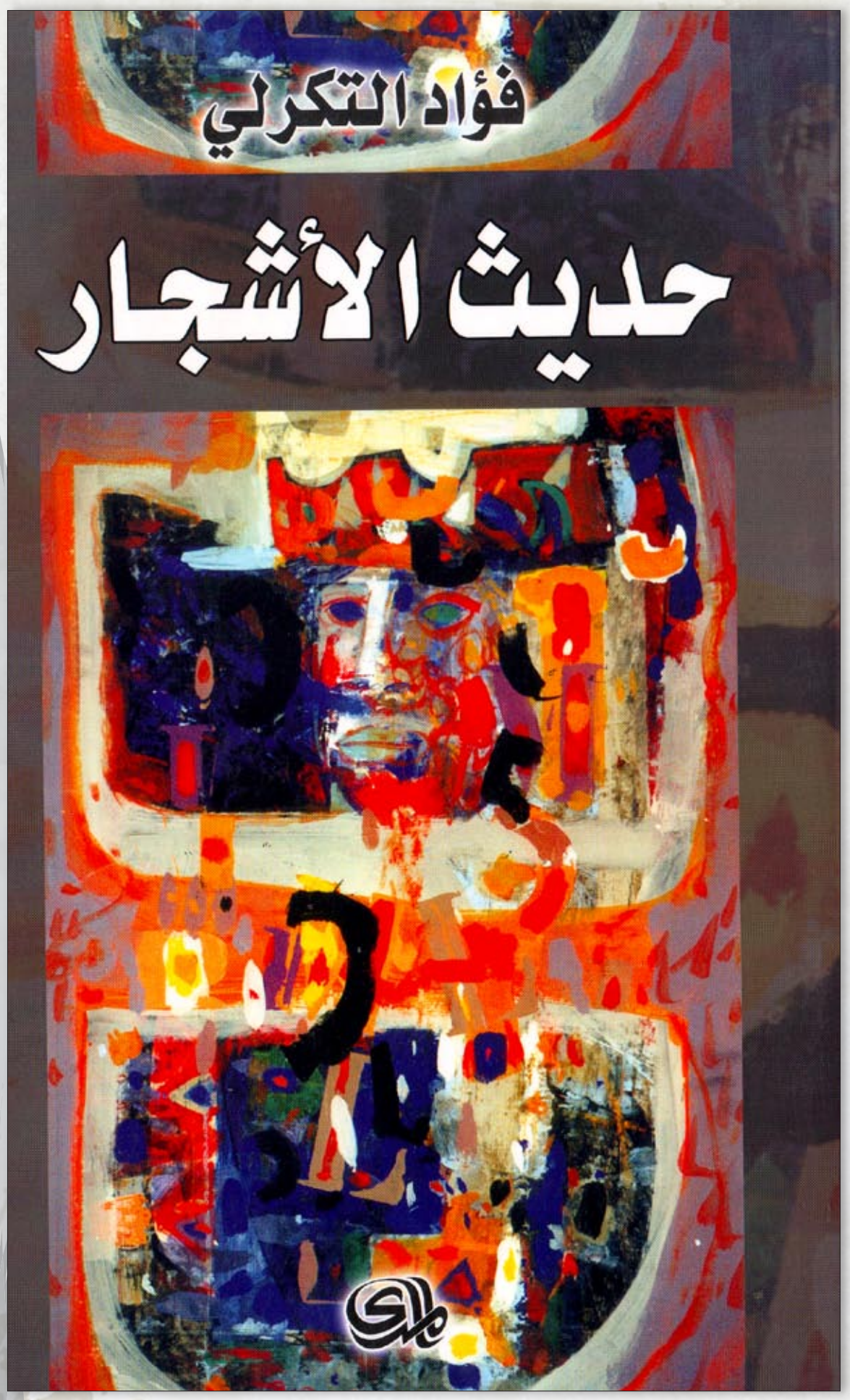

في رواياته وقصصه القصيرة، وفي حواراته يظل فؤاد التركلي يبحث في العمق، في تجربة الحياة وتجربة الكتابة، في نسيج واحد، يتداخل فيه الفرح والحزن، الحرية والقمع، النجاح والإخفاق، فالشخصيات تتحرك دائماً تبحث عن مصائرها ومساراتها إلي تتغير دائماً.

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

تحرير | نزار عبد الستار الاخراج الفني | مصطفى التميمي التصحيح اللغوي | عبد العباس امين

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون